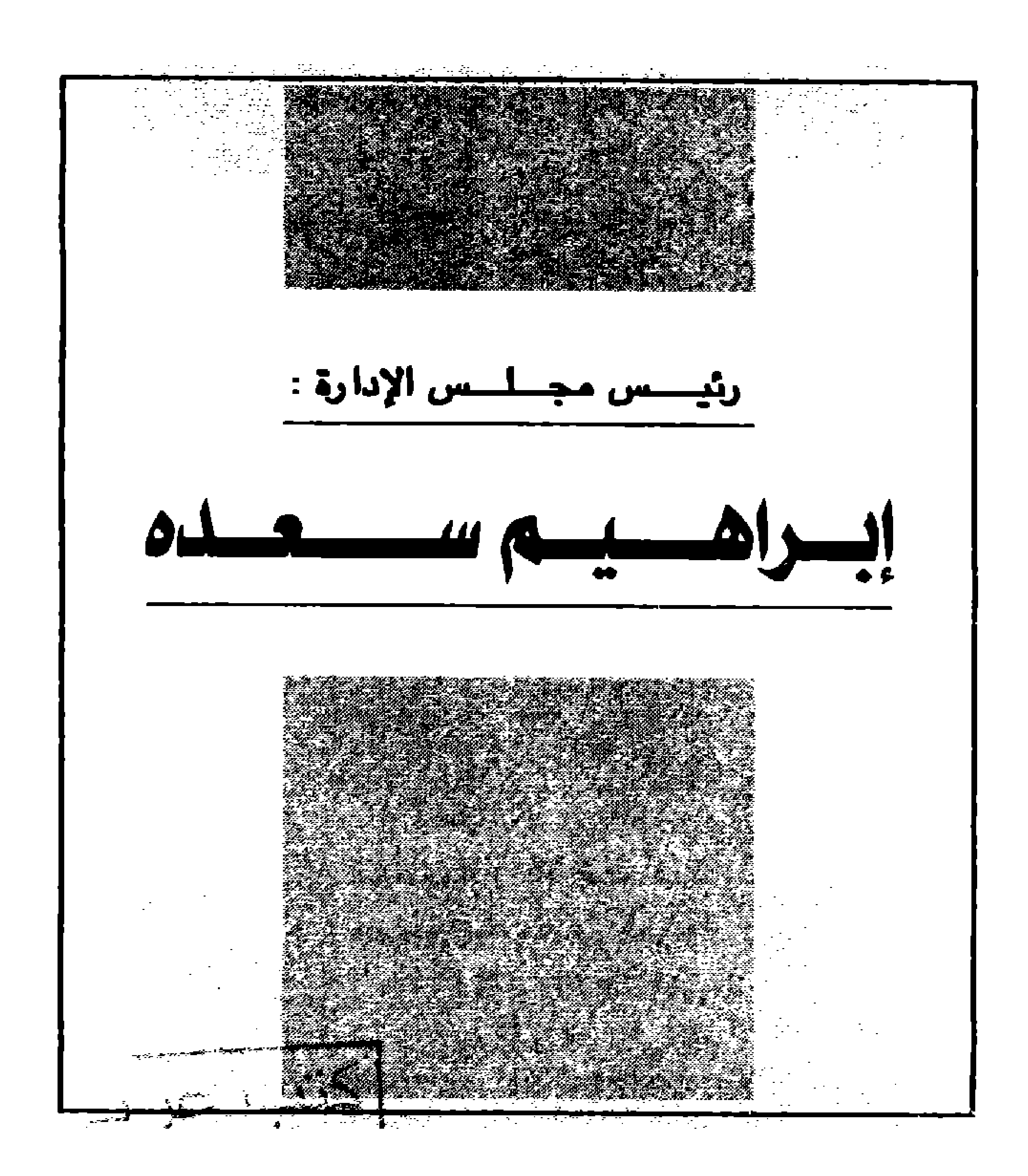


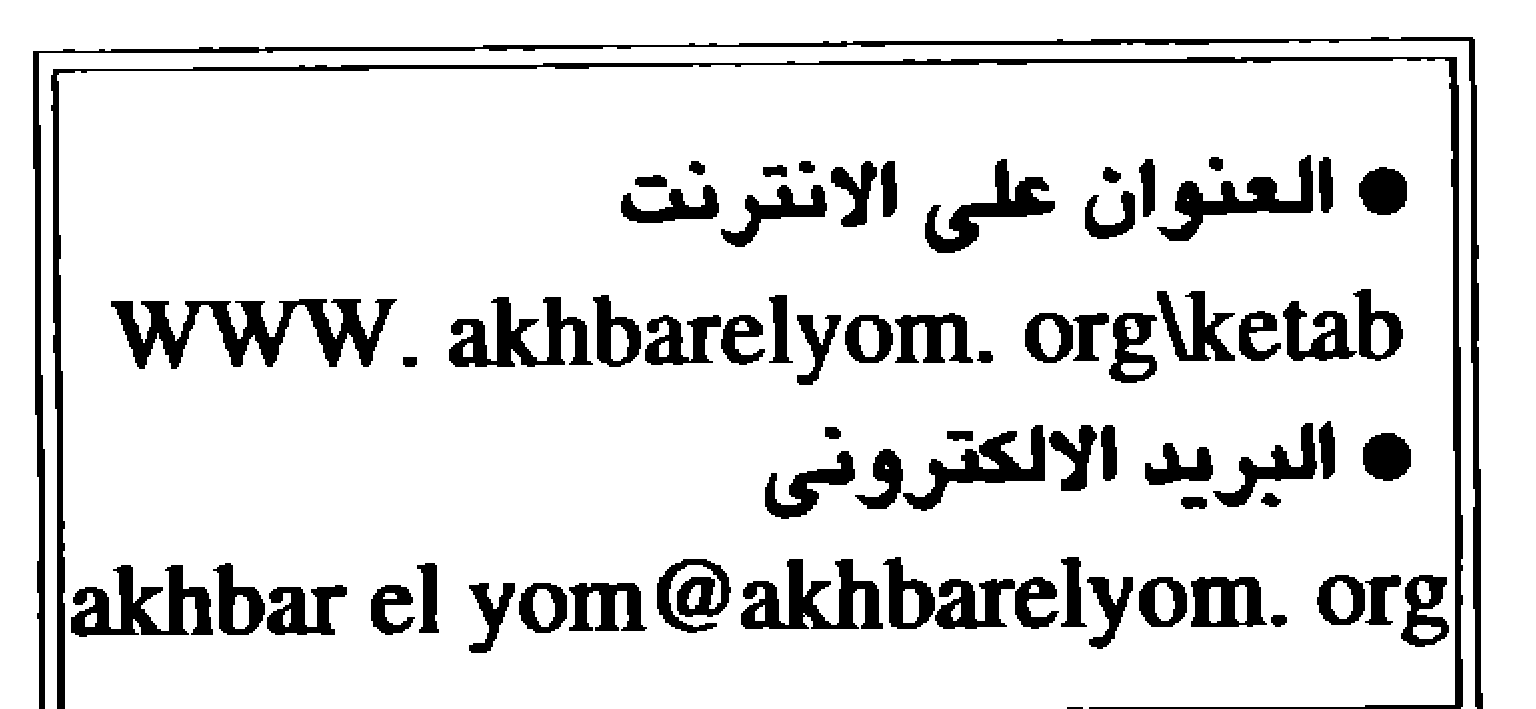
الشيء المكسور

عبد الوهاب مطاوع



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده



● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org



دار أخبــــار اليــوم
قطـــــاع الثـقــافــة
جمهـورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

عبد الوهاب مطاوع

الشىء المكسور

تصميم الغلاف والإخراج الداخلى:

د. عبدالكريم محمود



هذا الكتاب

« الشيء المكسور » هو عنوان إحدى القصص الإنسانية الواقعية التي يضمها هذا الكتاب .. وهي قصة تروي فيها أم عن نفسها كيف قست على ابنتها طويلاً وقهرت إرادتها ، وفرضت عليها ما لا تحبه وترضاه .. فاستسلمت الابنة في النهاية لإرادة الأم ونفذت ما كان مطلوباً منها .. لكن شيئاً كان قد انكسر داخلها في علاقتها بأمها ومشاعرها تجاهها .. وعبثاً حاولت الأم بعد ذلك أن تصلح ذلك الشيء المكسور في أعماق ابنتها ، فلم يسعفها الزمن .

ولست أريد تلخيص هذه القصة ولا حتى الإشارة إلى نهايتها الدرامية .. وإنما أريد أن أقول فقط إنني حين جلست لأفكر في اختيار عنوان لهذه المجموعة الجديدة من القصص الإنسانية التي يرويها لي المهمومون بأمرهم ويطلبون مني الرأي فيها والمشورة ، لم أستطع إبعاد عبارة « الشيء المكسور » هذه عن ذهني .. مهما

حاولت التفكير في غيرها .. فلقد وجدتها خير تعبير عن مضمون معظم هذه القصص الإنسانية وليس فقط عن القصة التى تحمل اسمها .. ذلك أن كل مهموم بأمره روى لى قصته مع الحياة والألم .. إنما كان يحكى لى فى الواقع عن « شىء مكسور » داخله ويأمل فى أن تجبر السماء كسره وتفرج كربه وتحقق له آماله فى السعادة والأمان .

ولقد حاولت دائماً منذ تحملت أمانة الاستماع للمهمومين وتقديم المشورة لهم أن أكون عوناً للمهمومين على همومهم وأحزانهم .. وأن اجتهد فى الرأى الذى أشير به عليهم وأرى فيه صلاح أمرهم .

والأمل كل الأمل أن أكون قد وفقت بعض الشىء فى هذه المهمة العصيبة .

والأمل كل الأمل أيضاً أن نستفيد معاً دائماً من تجارب الآخرين وهمومهم وأحزانهم ، وأن نضيف بتأملها بعمق والتفكر فيها زاداً جديداً إلى خبرتنا بالحياة عسى أن يعيننا ذات يوم على تفادى بعض عثرات الطريق وتجنب بعض أشواكه .

عبد الوهاب مطاوع



ماذا يكون شعور المرء حين تأتيه الطعنة الغادرة من أقرب الناس إليه .. وبالذات ممَّنْ كان يضع فيه كل ثقته ولا يقدم إليه إلا كل الحب والعطاء والإخلاص ؟

إن هذا السؤال هو ما يؤرقنى الآن ويحوّل حياتى إلى جحيم .. فلقد تزوجت من امرأة ملأت عقلى وكيانى وعينى وكانت كل دنياى ، تدمع لفراقى وتهلل كالأطفال حين أعود إليها .. وتسامحت على طول الخط مع عصبيتها الزائدة وعشقها الكبير للنكد ، وثوراتها لأتفه الأسباب وتذرعت معها دائماً بالصبر وكنت احتويها فى أحضانى إلى أن تهدأ وأحجب عنها كل ما يمر بى من شدائد وأحداث لكيلا أزعجها بها . وأنجبنا أبناء يسعد بهم أى أب وأم شاركونى تحمل عصبيتها غير المحتملة ، ومضى على زواجنا ٢٣ عاماً شهد لى خلالها أشقاؤها قبل غيرهم ، بأنه لم يكن ليتحملها أحد سواى ، وبأنها لو كانت قد تزوجت شخصاً غيرى

لطلقها بعد عام واحد على الأكثر من الزواج ، ولتخبطت فى الحياة بين عدة أزواج لا تطول عشرة كل منهم لها عن عام أو بعض عام. واغتربت خلال الزواج وبتحريض منها ٥ سنوات للعمل بالخارج لأوفر لها ولأبنائى رغد العيش ، ولم تطل غيبتى عنها خلال سنوات الغربة ذات مرة عن ستة أشهر على الأكثر ثم أرجع لأقضى معها ومع أبنائى إجازة سعيدة، فكانت تشعرنى عند وداعها لى بأننى طفل ينتزع رغما عنه من أحضان أمه التى تودعه بالدموع الغزيرة وتشعرنى عند العودة إليها بفرحة الأم بطفلها العائد إليها ، ولا يمضى يوم خلال غيبتى عنها دون أن أتصل بها تليفونيا ، ولم أدعها تحتاج لأى إنسان غيرى خلال سفرى ولم أبخل عليها بالمشاعر الحارة الصادقة فى بعدى عنها أو قربى منها.. فكانت اتصالاتى بها غزلا وبثاً للشوق والهيام بها ، وكانت إجازاتى معها شهور عسل متجددة ، حتى وقلبى يدمع حين أرى الذعر فى عيون أولادى خلال انفجاراتها العصبية التى تندلع فجأة دون سابق إنذار ودون أية أسباب واضحة . ولم أشعر ذات يوم فى علاقتى بها بأنها كاذبة المشاعر أو مدعية . ورجعت إلى بلدى فى إجازة لى من عملى بالخارج قضيتها بين زوجتى وأبنائى ، وعدت إلى مقر العمل مودعاً منها بالدمع الحار، فلم تمض على رجوعى سوى فترة قصيرة ثم تلقيت من ابنى الأكبر رسالة يطالبنى فيها بضرورة العودة نهائياً ويبرر لى ذلك بأن والدته قد رجعت إلى عصبيتها غير المحتملة وأنه من الأفضل أن أكون مقيماً بينهم لاحتوائها .. وإعادة الهدوء إلى بيتنا . ولم أتردد فى التضحية بعملى بالخارج والعودة لبلدى .. فما أن رجعت وعلمت زوجتى أنها عودة نهائية وليست إجازة قصيرة حتى فوجئت بها تطلب الطلاق منى ، وتبرر ذلك بأننى عازم على

التخلص منها والزواج من أخرى !
وعبثاً حاولت إقناعها بخطأ هذه الأوهام ، وبأنها لا مكان لها من الواقع أو تفكيرى أو حساباتى على أى شكل من الأشكال، فذهبت كل الجهود ادراج الرياح ، وتوالت الانفجارات العصبية الهيستيرية كل يوم وتحولت حياتنا إلى جحيم مستعر حتى رجانى شقيقها الأكبر أن أستجيب لطلبها حتى تهدأ أعصابها حفاظاً على مستقبل الأبناء ، وبعد فترة أخرى ، تعود المياه لمجاريها وتواصل القافلة سيرها من جديد .. واستجبت للرجاء وقمت بطلاقها وتركت لها المسكن والأبناء وأقمت فى بيت شقيقتى إلى أن تهدأ الأحوال .. وتنقشع هذه الغمة ، وواصلت تحمل مسئولياتى المادية والأدبية عن أبنائى وأسرتى بالرغم من بعدى عنها . وبعد فترة أخذت زوجتى السابقة أبناءنا واثنين منهم بالجامعة والصغرى بالمدرسة الابتدائية إلى بيت شقيقتها لقضاء يوم معها ، وبعد انتهاء اليوم وجد أبنائى عند منزل خالتهم سيارة لنقل الأثاث محملة بأشيائهم وملابسهم وكتبهم وأثاث سكن الزوجية .. وفوجئوا بأمهم تقول لهم اركبوا هذه السيارة وتوجهوا بها إلى أبيكم ، لأننى قد بعت الشقة التى كنا نعيش فيها وتسلمها المشترى الجديد بالفعل وثمنها من حقى ، وعلى أبيكم أن يدبر لكم سكناً جديداً ، أما أنا فدعونى لأعيش حياتى كما أريدها !
وجن جنون الأبناء .. ولم تفلح توسلاتهم إليها فى تحريك مشاعرها وأمومتها ، ولم يجدوا مفراً فى النهاية من أن يجيئوا إلىَّ ليلاً بسيارة نقل الأثاث وفوجئت بالموقف الغريب وانشغلت بانهيارهم عن كل شىء لبعض الوقت وحاولت أن أهدىء من روعهم بقدر الاستطاعة .. ثم توجهت إلى شقتى التى اشتريتها بمالى وثمرة عرقى وكفاحى، فوجدت الشارى الجديد لها قد

فرشها بأثاثه بالفعل منذ الصباح ووجدت عقد البيع قد تم تحريره بناء على توكيل عام كنت قد أعطيته لزوجتى السابقة عند سفرى للعمل بالخارج ووثقته لها .. ونسيت أن أقوم بإلغائه بعد الطلاق.

وواجهت الأمر الواقع صاغراً .. وفى الصباح الباكر هرولت إلى البنك لمراجعة حسابى لديه، فلم أجد فيه سوى مبلغ صغير يكفى بالكاد لنفقات شهر واحد وبحثت عن زوجتى السابقة وأم أبنائى لأراجعها فيما فعلت بى وبأبنائها بعد عشرة ٢٣ عاماً ، فوجدتها قد اختفت من بيوت كل أشقائها .. ورفضت شقيقتها الكبرى أن تدلنى على مكانها وأصرت على إنكار معرفتها به .. بالرغم من تأكدى من علمها بمكانها . ولم يكن أمامى بد من أن أدبر مأوى سريعاً لأبنائى ، فاقترضت مبلغاً من المال ودفعته كمقدم إيجار لشقة بالقانون الجديد وفرشتها بالأثاث الذى أخرجته زوجتى من سكن الزوجية الضائع .. واحتضنت أبنائى وحاولت أن أضمد جراحهم النفسية وجراحى .. فتوالت علينا الأنباء بعد حين ، عن زواجها عرفياً من رجل يكبر ابنها الشاب ببضع سنوات ومتزوج من زوجة شابة فى مثل عمره تعمل فى نفس مجاله المهنى وله منها طفلان . وعرفت أن هذا الرجل كان له مكتب يمارس فيه عمله المهنى بجوار مسكن شقيقتها واضطر لإغلاقه لسوء سمعته ، وأنها ـ أى زوجتى ـ السابقة قد قامت بفتح مكتب جديد له فى حى آخر وتعمل معه فيه كسكرتيرة !

واستشرت أحد المحامين الكبار فى أمرى .. فبحث الأمر كله ولم يجد فيه للأسف أية ثغرة قانونية يمكن استغلالها ضدها ، وعلمت أنا عن يقين أنها قد رجعت بعد الطلاق لتتقاضى معاشاً عن أبيها بالرغم من زواجها عرفياً ، وفكرت فى إبلاغ التأمينات الاجتماعية ضدها ، لكنى خشيت أن يكون هذا البلاغ خطوة أولى

فى طريق طويل للانتـقام منهـا .. وأنا دائماً أقـرأ لك أن الانتـقام مردوده سيىء على المنتـقم، فتركت أمرها ـ كمـا تدعونا دائماً فى ردودك ـ للمنتقم الجبار الذى لا يظلم أحدا ، وانصرفت إلى حياتى وحياة أبنائى أحـاول ترميمها .. وحـصار النتائج النفسـية لغدر الأم على الأبناء بقدر الإمكان .

ومضت على هذه الأحداث الدامية حتى الآن ثلاث سنوات لم تكلف زوجتى السابقة نـفسها خلالها عناء السؤال مـرة واحدة عن أبنائها . وأبنائى بالرغم من أدبهم وأخـلاقيـاتهم التى يشـهـد لهم بها الجـميع لا يريدون حتى مجرد سماع اسمها ولا يغفرون خديعتها لهم .

ولست أدرى كيـف أجعلهم يسامـحونهـا عما فـعلت بهم وبى ويقلقنى كثـيراً عمق مـا يشعرون به من المرارة .. بل وأقـولها بلا حـرج .. والكراهيـة أيضاً تجـاه أمـهم ، وأخـشى على صـحتـهم النفسيـة من ذلك .. وأبذل كل جهدى لكى أنسيهم مـا تعرضوا له وما رأوا بأعـينهم من أمهم وما عـرفوه عنها ، لأن كـره الابن أمه يضر كثيراً بمعنوياته ونفسيته وتفكيره ولا أعرف كيف أمنع عنهم هذا الضرر .

والآن، فإن الأهل والأصدقـاء .. وأولهم أبنائى يلحون علىَّ بأن أتزوج مرة أخرى ، وأنا حائر ومتـردد ولا أعرف هل سيأتى يوم أسـتطيع فيـه حـقاً أن أصـدق أى امـرأة أخرى بعـدمـا شـهـدت وتعرضت له من زوجتى السابقة ؟ وهل يمكن أن أجد بالفعل ذات يوم سيدة تتقى الله بصدق فىَّ وفى أبنائى وتكون صادقة المشاعر وهادئة الطبـاع وتكره الـنكد وتميل للمـرح والابتـهـاج بالحـيـاة، فيعوضنى الله ويعوض أبنائى بها عمـا لقينا جميعاً من عناء وغدر ونكران !

إن عمرى الآن ٤٦ عـاماً وأعيش الآن حياة هادئة وسـعيدة مع

أبنائى والهدوء يملأ أركان بيتنا الجديد بعد أن كان بيتنا القديم يتزلزل كل يوم بالبراكين والعواصف والأعاصير .. فهل تشير عليَّ حقاً بالزواج مرة أخرى ؟ وكيف السبيل لمثل هذه الزوجة « الصادقة » الوديعة التى ترعى الله فى زوجها وأبنائه وتتعاون معهم على تحمل الحياة وليس على تصعيبها عليهم وتحويلها إلى جحيم آخر ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

نحن ككل البشر يؤلمنا الغدر والجحود والخذلان ، ونأسى لذلك ونشعر بالرثاء لأنفسنا .. وبالظلم الإنسانى الذى حرمنا من السعادة والأمان النفسى والاستقرار ، لكن لماذا لا ننظر فى الوقت نفسه إلى الجانب الآخر من الصورة لنرى أن خسائرنا الإنسانية بسبب الغدر والخديعة والنكران لا تكون كاملة أبداً مهما تكن قسوة التجربة ؟ ولماذا لا نتنبه إلى أن هذا الغدر نفسه وإن كان قد آلمنا أشد الإيلام وزلزل أفكارنا وقيمنا وثقتنا فى النفس ، والخير والحق والعدل الإنسانى والآخرين، إلا أنه قد أنقذنا فى الوقت نفسه من صحبة مَنْ لا يخلصون لنا الود ولا يحفظون عهودنا ولا يستحقون منا أن نأمن إليهم أو نقضى بقية العمر إلى جوارهم !

إنه درس مرير ، لكنه يخفف بعض الشىء من أسانا على ما فقدنا .. لأن من عرف بالتجربة المؤلمة من لا يصلحون له، فلقد عرف على الناحية الأخرى الصالح المنشود .. فإن لم تسعده الحياة بالالتقاء به على الفور .. وتعوضه عما لاقى فى حياته السابقة من عناء ، فلقد اتضحت له على الأقل معالم الطريق الذى ينبغى له السير فيه .. وسمات الأشخاص الذين يستحقون السعى إليهم .

وتجربتك يا سيدى مع زوجتك السابقة وبالرغم من بشاعتها وقسوة الغدر والخذلان فيها وعواقبها المدمرة على أبنائك وحياتك العائلية ، قد أنقذتك فى النهاية من معاشرة تلك القنبلة الزمنية المتحركة .. ويكفيك لكيلا تشعر بالأسى عليها أنها لم تفكر فى طلب الطلاق منك إلا حين تأكدت من أن عودتك لبلدك نهائية وليست مؤقتة وهى نظرة مادية حقيرة تكشف لك عن انتهازيتها الأخلاقية من ناحية ، وعن ضيقها بالحياة الزوجية المستقرة معك .. ربما لأنها تتعارض مع ما كانت تدبر له خفية بشأن حياتها الخاصة . فأما غدرها بأبنائها وبيعها لمسكنهم واغتصاب ثمنه لنفسها .. وتركها لهم دون مأوى .. وتخليها عنهم لكى تحيا هى حياتها كما تشاء دون أن تعبأ بما سوف يترتب على ذلك من اضطراب حياة أبنائها وتشتتهم إلى حين ، ثم زواجها فيما بعد ممن يكبر ابنها الأكبر ببضع سنوات ، وإنفاقها من مال أبنائها المغتصب عليه وهو الزوج لأخرى والأب لأطفال صغار ، فكل ذلك يشير إلى فساد قيمها العائلية والإنسانية والتربوية .. وخسارة مثل هذه الزوجة مكسب لـمَنْ فقدها وفوز له بالكرامة والأمان والسلام النفسى ، وليس العكس .

ولا شك فى أنك محق فى أساك لسلبية مشاعر أبنائك تجاهها ، لكنك فى النهاية لست مطالباً بتجميل صورة الغدر والاستهتار الأخلاقى والتنكر للواجبات الأمومية والعائلية فى أعين الأبناء ما داموا قد تعاملوا مع هذه الصورة مباشرة ولم يعد فى الإمكان حجبها عنهم ، أو التستر عليها حفاظاً على رمز الأم فى مخيلتهم .. كما أنك لست المسئول عن عمق المرارة التى يستشعرها أبناؤك تجاه أمهم .. وإنما أنت مسئول فقط

أمام ربك عن ألا تزيد من نار هذه الكراهية فى نفوسهم .. وألا تلقى إليها بالمزيد من قطع الخشب لكى يظل أوارها مستعراً ، ومسئول فقط عن تذكيرهم بتعاليم دينهم وما تفرضه عليهم من التزامات تجاه أبويهم من حسن مصاحبتهم فى الدنيا والإحسان إليهم ولو جاهداهم على أن يشركوا بالله شيئاً إبراء لذمتك أمام ربك ، وحفاظاً على معنويات هؤلاء الأبناء وصلتهم بربهم وسلامة تكوينهم النفسى .

أما الحب فلا أحد يستطيع أن يغرسه كرها فى نفس أحد تجاه غيره حتى لو كان أحد أبويه .. ومسئولية كل أب وكل أم هى أن يعينوا أبناءهم على البر بهم وليس العكس ومَنْ يأسى على حب الآخرين له ينبغى له أن يضع حقوق هؤلاء الآخرين عليه فى اعتباره ويتنازل بالضرورة عن أنانيته ويضحى ببعض اعتباراته الذاتية من أجلهم .. ويؤدى واجباته تجاههم .. ويقدم لهم عطاءه الذى يبذر بذور الحب التلقائى الصادق فى نفوسهم تجاهه ، تماماً كما أن مَنْ يطلب احترام الآخرين لابد له أن يسلك فى الحياة سلوكاً محترماً .. ويحرم نفسه من بعض اللذائذ والإغراءات التى تنقص استجابته لها من قدره فى عيون من يأسى على احترامهم له.. وقديماً قال أحد الحكماء « كلما ازداد استعدادنا للعطاء ازداد ما نحصل عليه منه من الآخرين » .

فليس العطاء طريقاً أحادياً كمجرى النهر يتجه من المنبع إلى المصب .. ولا يرجع إلى الوراء أبداً .. وإنما هو دائماً طريق مزدوج يمضى فيه الماء فى اتجاهين متقابلين . وهكذا الحال فى كل العلاقات الإنسانية بما فيها علاقات الأبناء بالآباء

والأمهـات ، فحقوق الأبوة والأمـومة لا تكتسب بمجـرد الميلاد وإنما بما يقدمـه الآباء والأمهات لأبنائـهم من عطف ورعاية . وإذا كنت تسـألنى هل يمكن أن يأتـى يوم تثق فيـه فى امـرأة أخـرى بعـد أن أكـتـويت بخـداع زوجـتك التى كـانت تودعك بالدموع الغزيرة وتسـتقبلك بفرحة الأطفـال، فإذا بها تتكشف لك عن زيف المشاعر .. وفجر الغدر .. فـإنى مجيبك بغير تردد نعم وأؤكـد لك أيضـاً أنه سـوف يأتى هذا اليـوم ولابد له أن يأتى لأنه ليس كل الـبشـر أشـبـاهـا فى قـيـمهـم الأخلاقـيـة والدينية.. ولأن تجربتنا المريرة مع غـدر البعض بنا لا ينبغى لها أن تنسحب على الجميع .. أو على مَنْ لم نختبر بعد صدق مشاعرهم وقيمهم الأخلاقية .. وفى الحياة دائماً مَنْ يتقون الله ويرعون حدوده ويراقبون ربهم فى أعمالهم .. وفيها كذلك مَنْ لا يفـعلون . ومن بين النسـاء مَنْ تنطبق عليـهم كلمـة الأديب الأمريكى مـارك توين عن زوجتـه فى كتـابه يوميـات حواء : أينما حلت كـانت هناك جنة !! ، وفيـهن أيضاً مَنْ تحل مـعهن العـواصف والبراكـين . وتتراجع قـيم الحق والعدل والوفـاء أينما حللن .. لكن الأكثرية العظمى هن السـويات والطبيعيات دائمـاً وفى كل مكان ، فلا تتـردد فى الزواج مرة أخـرى ، لكى تشهد حياتك « ميلاداً جديداً » ينسيك ما لقيت من عسف وظلم وهوان فى حياتك السابقة .. والله الموفق بإذن الله .





أنا مصرى أعمل بشركة بإحدى الدول العربية ، وقد شاءت لى أقدارى أن أشهد عن قرب وقائع قصة آمل فى أن تساعدنى على تدارك بعض آثارها الأليمة ، فلقد وجدت فى موقع العمل الذى التحقت به منذ حوالى العام ونصف العام زميلاً قديماً عرفت من ظروفه أنه كان متزوجاً من إحدى قريباته وأنجب منها ثلاث بنات ثم تم الطلاق بينهما وانفصل عن زوجته ، وجاء للعمل فى هذا البلد العربى .. وبعد عام من غربته رجع إلى مصر فى زيارة وتزوج من أخرى تبين فيما بعد أنها كانت المسئولة عن انهيار حياته الزوجية الأولى ، ورجع بها إلى مقر عمله .. فى حين بقيت البنات الثلاث فى رعاية الأم التى تعمل بوظيفة صغيرة .

ويبدو أن مطلقة هذا الزميل قد ضاقت بعد ست سنوات من انفرادها برعاية البنات ببخل مطلقها عليهن .. فتنازلت له عن حضانتهن وطلبت منه أن يتكفل بهن .. واضطر الرجل للعودة

لمصر وإحضار بناته للإقامة مع زوجته الجديدة وطفلهما الصغير.. أما الأم فقد تقدم لها إنسان مناسب ووجدت من حقها بعد كل هذه السنوات أن تكون لها حياتها فتزوجت .

وبعد حوالى ثلاثة أشهر فقط من ضم الأب لبناته الثلاث إليه فوجئت فى أحد الأيام بهذا الزميل يتصل بى فى الساعة السادسة صباحاً ليستنجد بى لأن طفلته التى تبلغ من العمر ٧ سنوات فى حالة سيئة ولا يعرف ماذا يفعل ، وبالرغم من استجابتى الفورية للذهاب إليه، فلقد تعجبت لماذا لم يستنجد بزملائه المقيمين إلى جواره مباشرة بدلا من ضياع الوقت الذى يستغرقه حضورى من سكنى على بعد ١٥ كيلو متراً ولكنى كتمت تساؤلى وتوجهت إليه وفى البيت استقبلنى هذا الزميل وزوجته فى وجوم .. ولا أغالى إذا قلت أيضاً فى برود .. وقادنى إلى طفلته .. فلم أكد ألقى عليها النظرة الأولى حتى أدركت على الفور أنها فى رحاب الله .. وطلبت منه التوجه معى إلى الشرطة لإبلاغها بالأمر .. لكنه طلب أن نتوجه بها للمستشفى أولاً عسى أن يكون هناك أمل فى إسعافها . واستجبت لرغبته وحملنا الطفلة إلى المستشفى، فلم يكد يراها الطبيب حتى تساءل باستنكار عما دعا الأب لأن يتأخر فى إحضارها إلى هذا الحد .. وسأله عما حدث .. فروى الرجل أن طفلته قد سقطت من فوق السلم المتحرك فى إحدى الأسواق التجارية الكبرى فى مساء اليوم السابق وأنها بكت بعض الوقت ثم لم تشك شيئاً بعد ذلك، فرجعوا بها إلى البيت قرب منتصف الليل واستسلمت للنوم فى هدوء ، وفى الثالثة صباحاً استيقظ من نومه ودخل غرفتها فوجدها بين الحياة والموت ولم يقتنع الطبيب بالقصة التى سمعها من الأب .. وتعجب لماذا أنتظر من الثالثة حتى

السادسة صباحاً لكى يتصل بأحد زملائه ويطلب عونه بدلاً من أن يهرول بها على الفور إلى أقرب مستشفى وتم إبلاغ الشرطة .. وانخرط الأب فى البكاء والعويل .. وانتهى الأمر بحفظ التحقيق وتشييع الطفلة إلى مثواها الأخير .

وتراوحت مشاعرى أنا بين الشك فى هذا الأب .. وبين الرثاء له .. ثم شغلتنى هموم الحياة عن القصة كلها .. فإذا بتطور جديد يطرأ عليها ، ذلك أن إدارة المدرسة التى تدرس بها الابنة الكبرى قد لاحظت مجيئها إليها أكثر من مرة وفى وجهها آثار كدمات وبقع زرقاء ، فبدأت تسألها عن هذه الآثار وبعد شىء من الضغط عليها إذا بالابنة التى تدرس بالصف الأول الثانوى تنفجر وتروى لإدارة المدرسة أن أباها يضربها كثيراً وبوحشية هى وأختها بتحريض من زوجته .. وأن أختها الصغرى التى ووريت الثرى منذ بضعة شهور لم تسقط من فوق السلم المتحرك كما زعم أبوها فى روايته . وروت التفاصيل المؤلمة، فقالت أن أباها قد ضرب طفلته الصغيرة بقسوة شديدة عقاباً لها على خطأ فادح ارتكبته .. وأن الطفلة كانت تجرى منه فى الغرف خلال ضربه لها فاستثار ذلك حمقه وغيظه فأمسك بها ورفعها إلى فوق مستوى رأسه ثم ألقاها على الأرض بقوة ، وسقطت الطفلة تولول ثم نهضت لتجرى فلم يكتف بذلك وإنما عاد للإمساك بها من جديد وهى تصرخ وتولول وتستعطف أباها وترجوه وتقسم له قائلة «حرمت يا بابا والله حرمت يا بابا » فلم يعفها ذلك من وحشيته ورفعها إلى ما فوق رأسه مرة ثانية وألقاها على الأرض بنفس القوة ، فازدادت صراخاً وبكاء واستعطافاً .. فلم يرق لها قلبه وأمسك بها للمرة الثالثة وألقاها على الأرض من نفس الارتفاع فلم تنهض

الطفلة من الأرض هذه المرة وإنما راحت فى إغـماءة أو غـيبـوبة .. وحل الصمت الكئـيب على المكان .. والأختان تشــهدان هذا الموقف الرهيب خائـفتين باكـيتيـن صامتـتين عاجـزتين عن كل شىء .. فيــحمل الرجل وزوجته الطـفلة ويلقيان بها فــى البانيو ويفتــحان عليهــا المياه لكى تفــيق من إغمــاءتها فلا تـفيق ، فيــحمــلانها إلى الفــراش ويدعانهــا فــيه تتـشنج من حيـن لآخر وتقــاوم المصيـر المحتوم إلى أن تلفظ أنفاسها الأخيرة شاكية إلى ربها ما لقيته من ظلم . والأعـجب من ذلك أن الأب قد تركـها تقــاوم مصيـرها من السابعة مساء حــتى أذن الله لروحها الطاهرة بأن تهدأ إلى جواره فى حوالى السـاعة الثالثة صباحاً ، وهنا فقط أدرك خطورة الموقف وخـشى أن يســتنجد بزمــلائه فى العـمل المقـيمـين إلى جــواره لإطلاعــهم بحكم الجوار عـلى سوء مـعاملتــه لبناته وضــربه لهن خاصة للـطفلة الصغرى بسبب مـشاكساتهــا المستمرة مع أخــيها الأصـغـر، فأراد أن يستـشـهد على أمـره زميلاً آخـر لا يعرف من سـيرتــه الكثيــر .. فكنت لســوء الحظ هذا الزمــيل ، أمــا « الخطأ الفادح» الذى ارتكبته هذه الطفلة المسكينة ولقـيت عليه هذا العقاب الوحشى فهو أنها قد تجرأت ودخلت الحـمام لتقضى حاجتها فى غيـر الموعد المحــدد لها من زوجــة الأب وبذلك فقد خــرقت النظام الموضوع للبيت واســتحقت العقاب . ولأن الله سبحــانه وتعالى قد يمهل لكنه أبداً لا يهمل فقد أخذت الأمور بعد ذلك مجراها العادل.. وأيدت الابنة الأخـرى ما قــالتــه أختــها وتم القــبض على الزمــيل والتحقـيق معه واعترفت زوجـته عليه وثبتت التــهمة عليهمــا معاً وأودعا الســجن منذ أسابــيع وبقيت الفــتاتان بلا عــائل أو مأوى لبعض الوقت حتى تمت إعادتهما للقاهرة .

واستقـبلتهمـا أمهما المتـزوجة التى أنجبت حديثـاً طفلاً ، لكنه يصـعب عليهـا إيواؤهما فى ظـروفهـا الحاليـة ، فهى تعـيش فى مسكن صغيـر من غرفتين تقيم مع زوجها وطـفلها فى غرفة منه وتقيم فى الأخـرى والدة الزوج وأخته ، لذلك فلا بديل عن تـوفير مسكن متـواضـع لهاتين البنتين فى الحى الشعبى الذى تقـيم فيه الأم ، بالإضافـة إلى توفير مـورد لهما ، ومـا يقلقنى ويؤلمنى هو مصير هاتين الفتاتين .. ذلك أن بعض الزملاء هنا فى العمل كانوا قد اتفـقوا فى قمة التـأثر بالمأساة على مسـاعدتهما وجـمع مبلغ شهرى وإرساله لهما .. إلا أن هذه الرغبـة قد بدأت تخبو تدريجياً مع مـرور الأيام ، وبرر البـعض ذلك بأن كـلا منهم له مـشـاكله ولديه من الأهل الأقربين مَنْ هو أكثـر استحقاقاً لهـذه المساعدة . فهل نجد بين قرائك مَنْ هم أكثر رغبة فى مساعدة هاتين الفتاتين وإنقاذهما من الضياع إلى أن يتمكنا من النهوض بأمرهما ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

يا إلهى .. لكم تقـسـو الحيـاة أحيـاناً على بعض النفـوس البريئـة ! أتوءد طفلة صغـيرة فى السابعـة من عمـرها لأنها خالفت نظام البـيت ودخلت الحمام فى غيـر الموعد المخصص لها لقضاء حاجة ألحت عليها ولا تعترف بالأنظمة أو المواعيد! من أى حجر أصم قُـدّ قلب هذا « الأب » الوحشى فلم يرق لهذه الطفلة الضعيـفة وهى تستعطفه وترجوه وتقـسم له صادقة أنها لن ترجع أبداً إلى ارتكاب مثل هذا الخطأ الفادح!

وأين كانـت أبوته ورحمتـه وإنسانيـته وهو يرفع طفـلته الصغـيرة إلى ما فوق مـستوى رأسـه ويلقى بها على الأرض بقوة .. فإذا نهضت صارخة باكـية وجرت محاولة النجاة من

مخالبه ، طاردها بإصرار كما يطارد الصائد فريسته ورفعها من جديد وقذفها إلى الأرض من عل مرة ثانية وثالثة بين عويل الطفلة الضحية .. ونحيب الفتاتين الخائفتين إلى جواره؟

وبماذا شعر هو بعد أن حقق هذا « الانتصار » العظيم على هذه الطفلة الضعيفة ونجح فى اقتناصها .. ومنعها من الفرار وتنفيذ حكمه الجائر فيها ؟ وماذا سيقول حين يقف أمام رب العرش يوم العرض العظيم « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » .

لقد روى لنا الأثر أن رجلاً إعرابياً قد حكى لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه كيف وأد ابنته فى الجاهلية .. فبكى رسول الله ﷺ تأثراً بما سمع وإشفاقاً على هذه الموءودة التى لم يعرفها ولم تربطه بها صلة دم ولا نسب ، حتى نهر الجالسون الرجل وصاحوا فيه : أحزنت رسول الله ﷺ ، فنهاهم الرسول الكريم وطالب الرجل بأن يعيد عليه روايته فأعادها وبكى الرسول من جديد حتى نزل دمعه على لحيته .

فأى فارق فى القلوب .. وأين دمع الرحمة الذى يميز الإنسان من الجماد فى مثل هذه المواقف الموجعة ؟

وأى عقاب يمكن أن يشفى القلب من وجده على مثل هذا الأب القاتل ؟ وأى مفارقة تستحق التأمل حين تسخو الأقدار على بعض الآباء بنعمة الأبناء فلا يحفظونها ولا يعرفون لها قدرها ويحيلون حياة أبنائهم إلى جحيم كما فعل مثل هذا الأب الذى لا يستحق لقب الأبوة .. فى الوقت الذى يتلهف فيه غيرهم من البشر المحرومين على مَنْ يرجون أن يفيضوا عليهم

برحمتهم وحنانهم ورعايتهم إلى آخر العمر .

لقد أحسنت سلطات تلك الدولة العربية صنعاً حين سجنت مع هذا الأب القاتل .. زوجته وحاسبـتها معه على جريمة وأد هذه الطفلة الصغيرة ، فلقد قتلتها معه بغير أن تمد إليها يداً.. بالتحـريض عليها ومـباركة مـا يفعله بهـا .. وتقاعسـها عن إنقـاذها من بين يـديه وهو فى عنفـوان حـمـقـه وثورته واستـسلامه لشـياطينه ونزعـاته العدوانيـة ضدها . وبذلك، فإنها تكون قد تآمرت بالفـعل مع زوجها على قتل هذه الطفلة حتى لو لم تمسهـا بيدها .. ليس فقط بتحـريضه على إيذائها وإنما أيضاً بالصمت على ما فـعله بها والنكوص عن رده عما يفعله ، ولقـد كان فى مقدورها لو أرادت أن توقـفه فى الوقت الملائم قبل أن يفلت الزمام من يده .

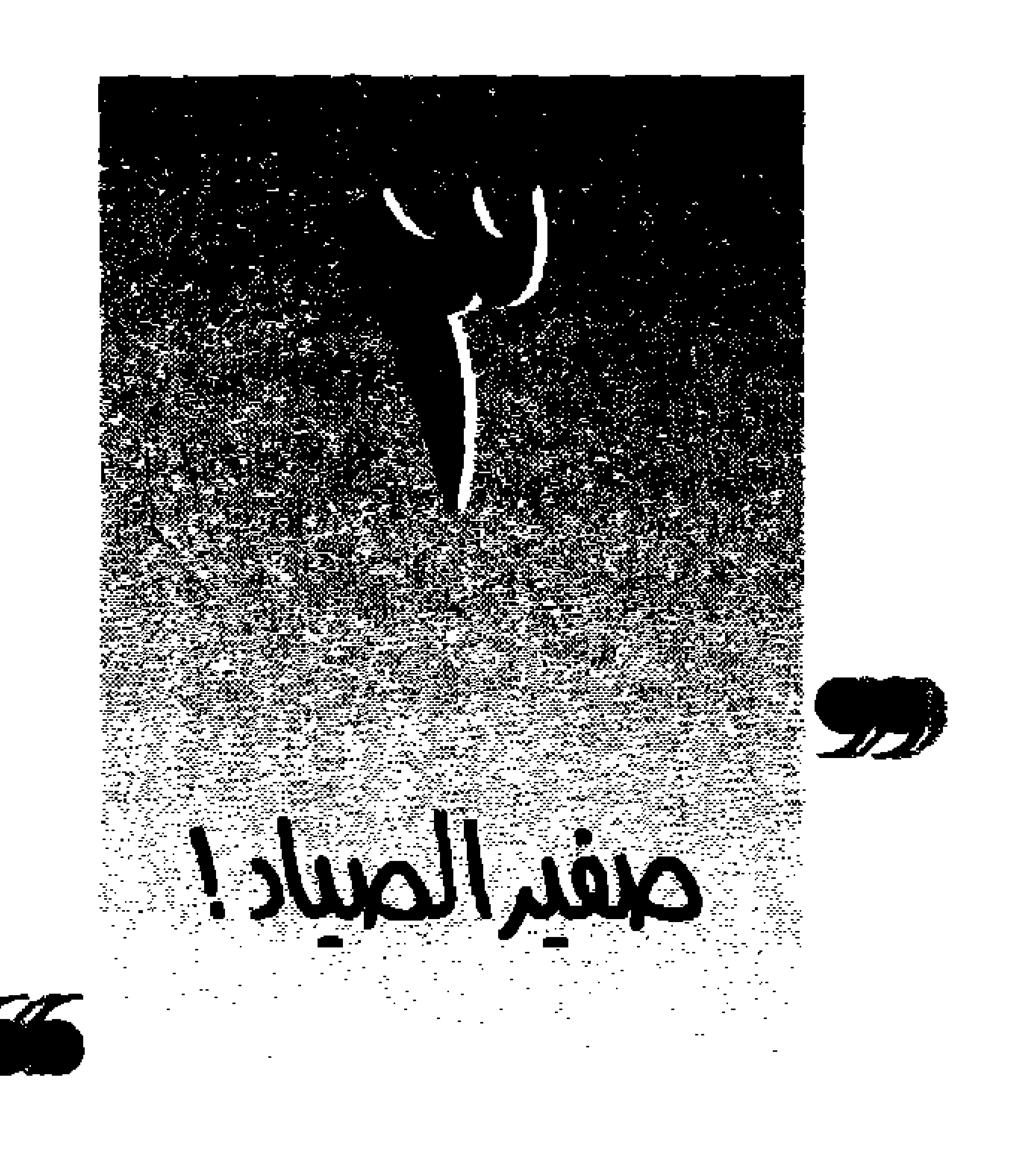
لقـد قال أحد الحكـماء إن مؤامـرة الصمت هى أسـوأ أنواع المؤامرات لأنها تعنى إعانة الظالم عـلى ظلمه بالصمت على ما يفعل .. وتعنى فى الوقت نفسه محاولة التنصل من مسئولية المشاركة فى الجريمة وادعاء عدم المـساهمة فيها . فى حين أن الصمت عن الخـطأ قد يعادل فى بعض الأحـيان المشـاركة فى ارتكابه .

ولا شك فى أن هذه المرأة لم تكن خير صـاحب لزوجها وإلا كانت قد أنقذته هو أولاً من نفســه وأنقذت هذه الطفلة البريئة ثانياً من هذا المصير المؤلم .

وفى الحديث الشريف أن « خير الأصحاب من إذا ذكرت الله عنده أعـانك وإذا نسـيت الله ذكـرك ، وشر الأصـحـاب من إذا ذكرت الله عنده لم يعنك وإذا نسيت الله لم يذكرك » وهذه المرأة

لم تذكر زوجها بربه حين نسيه .. وشاركته محاولته لإخفاء آثار الجريمة بعد ارتكابها .. وواصلت تحريضها له على ابنتيه ، فكان في ذلك مقتلها هي وزوجها حين انكشف الأمر الذى جاهدا لإخفائه بافتضاح آثار تعذيبه لابنته الكبرى ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .. ولا عجب بعد ذلك في أن تعترف على زوجها وتثبت عليه جريمته ولا غرابة في أن تحاول النجاة بنفسها على حساب رفيقها لأن مَنْ كانت هذه هي أخلاقياتها وعصفها بمَنْ وضعتهن الأقدار تحت رحمتها لا يستغرب منها أن تخذل زوجها في الموقف العصيب وتتخلى عنه .

وعفواً لشرودى بعيداً عن مطلبك الأساسي من هذه الرسالة وأرجو أن أطمئنك إلى أن « بريد الأهرام » سوف يتولى بإذن الله أمر هاتين الفتاتين الحائرتين ويفتح لهما قلبه وذراعيه إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً .. وشكراً لاهتمامك بأمرهما وسعيك لإنقاذهما .



بالرغم من إدمانى قراءة بابك هذا منذ أكثر من اثنى عشر عاماً، فإننى لم أفكر فى الكتابة إليك عن مشكلة تخصنى ، لأننى ببساطة شديدة ممن ينظرون دائمـاً إلى نصف الكوب المملوء ، ولا يركزون أنظارهم على نصفـه الخالى، فتـثور لديهم أسباب السـخط وعدم الرضـا .. كمـا أننى أيضاً ممـن يحمـدون الله دائماً على أى حـال ما دام قـد رضيه لى أو أراد أن يختـبرنى به ، فحـين كنت أعانى قسـوة زوجى وإهاناته الشديـدة لى كنت أنظر إلى أبنائى وأنا فى غمرة الضـيق فأجدنى فى نعمة كـبيرة حرم منها غـيرى ، وحين كان أهل زوجى يتـمادون فى استفزازى وإهانتـى خلال إجازاتنا القـصيرة من الإقـامة فى الخـارج كنت أحمـد الله على صداقـاتى المخلصة التى امتدت من أيام الدراسة واستمرت قوية ودافئة حتى الآن فأشعـر بأن الدنيا بخير ، وحـين قرر زوجى أن ينهى دورى فى حـيـاته مع انتهـاء عـمله بالخـارج وعـودتنا إلى بلادنا وأنا

ما زلت فى التاسعة والعشرين من عمرى عدت أنظر إلى أبنائى وأتحدى بهم واقعى المؤلم ، وخلال رحلة العذاب بين أروقة المحاكم بحثاً عن حقوق أبنائى وحقوقى لدى شخص لم يتق الله فينا ولم يحفظ للعشرة حقها ، كان بصرى يتعلق بالسماء دائماً أملاً ورجاء فى رحمة الله .. ومع كل جولة كان يفوز بها مطلقى فى المحاكم بسبب أساليبه الملتوية لإثبات عوزه وإعساره حتى يتنصل من مسئولياته المادية ، كنت أسجد لله شكراً لأنه أنعم علىَّ بنعمة الرضا والقناعة واليقين بنصره لى فى النهاية مهما طال المدى ..

وكلما غصصت بالمرارة .. لما عانيته فى تجربتى مع زوجى السابق وأهله ، واستسلمت للذكريات المؤلمة والحزن .. أفقت من هذه الذكريات والأفكار المحزنة على ابتسامة الطفلين اللذين وهبهما الله لى .. وهما يتحركان حولى فى مرح وسعادة ، فأرضى بنصيبى من الدنيا وأحمد الله على كل حال .

ولقد كرست حياتى بعد الانفصال للطفلين وشغلت نفسى بزيادة قدراتى واتجهت لتعلم الكمبيوتر ودراسة اللغات وانشغلت بذلك وبشئون الأطفال ومطالبهم الصغيرة وحكاياتهم اللذيذة وشواغلهم الممتعة .. فوجدت الذكريات الأليمة تنحسر من ذاكرتى تدريجياً ، إلى أن تصادف أن التقيت منذ فترة بزوج شقيقة زوجى التى أسهمت ـ غفر الله لها ـ بالنصيب الأكبر فى هدم بيتى وتشتيت أبنائى ، فتظاهرت فى البداية بعدم رؤيتى له وتجاهلته إلا أنه لاحقنى حتى لم يعد هناك مفر من رد تحيته ، فتقدم منى وسألنى عن أحوالى وأحوال الطفلين ، وأبدى لى أسفه على ما كان من زوجته وأسرتها معى .. فغضضت بصرى وقلت له إن

هذا قدرى ، وإننى أحمد الله على كل حال ، واستأذنته فى الانصراف ومضيت إلى حال سبيلى ، وفكرت فى هذه المصادفة بعد ذلك وتعجبت لها وتفكرت فيما أبداه من أسف لتصرفات زوجته وأهلها ضدى .. وحمدت الله أن أظهر ظلمى حتى لأقرب الناس إليهم .. وظننت أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد .. إلا أننى فوجئت به ينتظرنى بعد ذلك بأيام فى موعد محاضراتى التى أتلقاها بمركز تعليم اللغات .. ويتقدم منى لتحيتى والسؤال عن أخبار طفلى ولم استرح لظهوره فى المركز وشعرت بالحرج من نظرات زملائى بالدراسة الذين أضع الحدود والسدود بينى وبينهم ، وطلبت من زوج شقيقة زوجى السابق ألا يكرر حضوره لمقابلتى مرة ثانية .. ففوجئت به يصارحنى بأنه يحبنى ولا يستطيع الحياة بدونى ، ووجدته يقول لى إن زوجته كانت قد استشعرت هذه العاطفة القوية لديه تجاهى حين كنت زوجة لأخيها ، فدفعها ذلك لافتعال المشاكل والأزمات معى لكى تباعد بينى وبينه ، وروى لى أيضاً كيف أنها صارحته بهواجسها بشأن عواطفه نحوى ورجته أن يشعر بحبها له ونسيانى ، وقال لى أيضاً إنه يحب ابنى وسوف يعوضهما ويعوضنى عما لقينا من جفاء الأيام ، وأننى زهرة يجب أن تروى بالماء وإلا جفت وذبلت وماتت خاصة أننى فى الحادية والثلاثين من عمرى ، ووجدتنى بغير أن أشعر أنفجر فيه وأقول له إننى لست ممن يهدمن البيوت على أصحابها ، وتركته ورجعت إلى بيتى ووجدتنى استعيد ما قاله لى فألوم زوجته فيما جنت علىّ تارة .. وألتمس لها بعض العذر فيما فعلت كزوجة تخشى على زوجها وحياتها تارة أخرى.. ووجدتنى أتساءل : لماذا لم تصارحنى بهواجسها ولو كانت قد

فعلت لكنت أعنتها على استعادة زوجها واحتفظت فى نفس الوقت بزوجى ووالد ابنى ؟

لقد كتبت لك هذه الرسالة بعد قراءتى لرسالة « بداية الطريق » للسيدة التى يطاردها زوج صديقتـها المخلصة طالباً الزواج منها .. ورويت قصـتى لها لعلها تستـفيد منهـا ، ولكى أضم صوتى إلى صوتك فى دعـوتها إلى صـد محاولات هذا الشـخص ومواجهـته بقوة لكى يرتدع عنها .. إذ أننى لو كنت قد وافقت على ذلك الرجل وتزوجته قـصاصاً ممن ظلمنى لوجدت لنفسى بعض العـذر فيما فعلت .. لكنى تمثلت بهدى الرسول الكريم ﷺ وهو القائل «استفت قلبك » فاسـتفتـيت قلبى وجاءتنى الإجابة برفض الغـدر بشقيـقة زوجى ، بالرغم مما فـعلته هـى وأسرتهـا ضدى . وأسـأل كاتبـة رسالة «بداية الطريق» ، إذا كان هذا هو الحـال بالنسبة لى .. فأى عذر يكون لها إذا سـولت لها نفسها خـيانة صديقتهـا التى فتحت لها قلبـها وبيتـها وقدمت لهـا العون والمساعـدة فى أحلك مراحل حياتها إذا هى سلبت منها زوجها وحرمت منه أبناءه ؟

إننى أحمد الله أن حمانى من شر نفسى وهدانى سواء السبيل ، وأرجو الله أن يحمى هذه السـيدة من شر نفسها ويهـديها صراطاً مستقـيماً ويوفقها إلى مَنْ يناسـبها بغير أن تؤلم بخيـانتها أقرب الناس إليها وتندم على ما فعلت بعد حين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من أهم أسـباب السـلام النفـسى أن يتـصالح الإنسـان مع نفسه وظروفـه وأن يتقبل أقداره ويرضى بكل مـا تحمله إليه أمواج الحياة ، ويحاول دائماً أن يفـتش فى حياته عن أسباب

للرضا عنها .. والعزاء ولا شك أنه مما يعين المرء على ذلك أن يتفهم جيداً حقائق الحياة ويسلم بأنها ليست نزهة قمرية فى بحـر هادىء الأمـواج ، وإنما هـى دائمـاً أفـراح وأتراح .. ونجاحات وإخفاقات وانتـصارات وانكسارات ، وأنه كما يحق لنا أن نسـعد بأوقات السـعادة والانتـصار ، فإن مـن واجبنا كذلك أن نتـقبل هزائمنا وإخفـاقاتنا بروح عاليـة لا تنال منها الأحزان والانكسارات ولا تطبعها بطابع المرارة والسوداوية .. والأحقاد .

ولقد أحسنت يـا سيدتى التعامل مع انكـساراتك وذكرياتك الحزينة .. بتركيز انتباهك دائماً على ما فى حياتك من جوانب مضيئة « تعـادل » الأحزان والآلام وتعزيك عنها وتجدد لديك الرغـبة فى الاسـتمـرار .. كابتـسـامة طفليك .. وشـواغلهمـا الجـميلة .. « والوعى » بالـنعمـة الجليلة التى يمـثلانهـا فى حياتك .. والاستمتـاع بالصداقة المخلصة المبرأة من الغرض ، والقـدرة على تجديد الحـياة وشحـذ الإرادة .. وتعلم خـبرات جـديدة ، وخلو النفس من المرارة والرغـبـة فى الانتقـام ممَّنْ أسـاءوا إليـك ، وكل ذلك مما يرشـحك لـلتـعـامل السـليم مع الأشيـاء ويعينك على الأمل فى المسـتقبل الأفـضل الذى تأسو فيـه الأيام الجراح وتحـيلها إلى سـعادة وابتـهاج بالحـياة ، ولا عـجب فى ذلك يا سـيدتى لأن القـدر الأكـبـر من سعـادة الإنسان إنما ينبع كما يقـول لنا الكاتب الأمريكى جون ريد من حـياته الـداخلية وأفكاره الـشخـصـية وطريقـة تجـاوبه مع مؤثرات الحياة السلبيـة والإيجابية على السواء . فلقد يكون كل ما فى حـياة الإنسان يدعوه للابتـهاج بها ، فلا يشـعر مع

ذلك بالسعادة لأن تفاعله مع حياته وتجاوبه مع دواعي البهجة فيها ليسا سليمين ..

ولقد يكون في حياة المرء من أسباب الشقاء ما يمكن أن يحيلها إلى جحيم ، ويستطيع بالروح العالية والتعامل الحكيم مع الحياة والرضا بقضاء الله وقدره ، والاستعداد النفسي السليم لاستشراف أسباب الابتهاج من بين ركام الأحزان ، أن يتعزى عن أسباب الشقاء .. بأسباب السعادة ويعلي من إحساسه بما أنعم الله به عليه من نعم جليلة في جوانب حياته الأخرى ..

ولقد عبرت أنت عن ذلك بوصفك لنفسك بأنك ممن لا يغفلون عن النظر إلى النصف المملوء من الكوب ولا يركزون اهتمامهم وحسرتهم على النصف الفارغ منه .. ولقد ذكرني مثال الكوب نصف المملوء بتلك الحكمة الأسبانية التي روت لنا عن رجل لم يكف عن الشكوى لأنه لا يملك حذاء إلى أن رأى رجلاً بلا قدمين فرضي عن حفائه لأول مرة .. كما ذكرني أيضاً بما قاله إمام المتقين علي بن أبي طالب معزياً رجلاً حزيناً في أمر شق عليه احتماله : مَنْ رضي بقضاء الله جرى عليه القضاء وكان له أجر ، ومَنْ لم يرض به جرى عليه القضاء وحبط عمله .

ولا شك في أن خلو نفسك من المرارة وتعففك عن الرغبة في الانتقام ممَّنْ آذوك قد ساعداك على اتخاذ القرار السليم برفض محاولات زوج شقيقة زوجك السابق للاقتراب منك .. فالتزمت بذلك بما تؤمنين به من مبادىء ومثاليات ترفض الغدر بالآخرين وتترفع عن هدم البيوت الآمنة على أصحابها ،

وحميت من جانب آخر نفسك من التعرض لتجربة أغلب الظن أنها كانت ستضاعف من أحزانك وآلامك ، حين تتكشف لك بعد حين عن خدعة حقيرة لاستغلال ظروفك كمطلقة حزينة .. واللعب على أوتارك الحساسة بمعزوفة الحب القديم الذى لا يطيق صاحبه الحياة بدونك مع أن الحب لا يخفى وأن جاهد صاحبه نفسه لإخفائه .. ولو كانت قصة هذا الحب حقيقية وصادقة إلى الحد الذى استشعرت معه زوجة هذا الرجل خطره عليها ، وتحفزت للمباعدة بينك وبين شقيقها ، لما غاب عنك ذلك في حينه .. ولاستشعرت شيئاً من مظاهره وأنت زوجة لشقيق زوجته ، بل ولما كان لقاؤه بك لأول مرة مصادفة بعد أكثر من عامين من انفصالك عن زوجك .. وغاية الأمر فى ظنى هو أنه حين التقى بك مصادفة لأول مرة بعد عامين من الانفصال قد راودته نفسه على إغرائك بالارتباط به فى علاقة لم تكن تنتهى غالباً بالزواج ، وإنما بقصة غدر جديدة وضياع فترة أخرى ثمينة من العمر ، وكل ذلك استغلالاً لوحدتك وظروفك وما تصوره فيك من رغبة فى الانتقام من زوجته ، ولهذا فإننى أكاد أجزم لك بأن قصة حبه القديم لك هذه ليست سوى حيلة لاجتذابك إليه حتى لو كانت زوجته قد استشعرت بعض الغيرة المألوفة منك خلال زواجك من شقيقها .. ويرجح هذا التقدير عندى أننى قد تسمعت فى حديثه المسموم لك « صفير » الصياد حين يقلد صوت الطيور لكى يغرى الطائر الطليق بالاقتراب من مرمى نيرانه استغلالا لميله الغريزى للالتحاق بأقرانه .

وكان « الصفير » الذى حاول إغراءك به هو أن يستثير

لديك رغبتك فى الانتقام من شقيقة زوجك السابق لدورها مع أهلها فى هدم أسرتك ، لكى يوقع بك فى شباكه .

فحسنا فعلت حين اهتديت بفطرتك السليمة ورفضت الغدر بشقيقة زوجك السابق وعمة طفليك .. وأبيت السعى إلى هدم الأسرة الآمنة .. وإهداء الكأس المريرة التى تجرعت مراراتها إلى الغير .

فأما مكر شقيقة زوجك وأسرته بك .. فلقد كان الإمام جعفر الصادق يقول « عجبت لمَنْ ابتلى بالمكر كيف يغفل عن ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) ﴾ [غافر] وهو القائل جل شأنه ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا (٤٥) ﴾ [غافر] صدق الله العظيم .

إنها يا سيدتى سلاح مَنْ يؤمنون بالله واليوم الآخر والسابقين بالخيرات والملتزمين بالفضائل فى مواجهة شرور الآخرين وأذاهم ومكرهم .. وهؤلاء هم مَنْ يدافع عنهم ربهم ويعوضهم عما يلاقونه فى الحياة من عنت ، حتى يكونوا ممن أشارت إليهم الآية الكريمة ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [فاطر] .

وشكراً لك على رسالتك النابضة بالحكمة والفهم النبيل للحياة .. والرضا بما تجرى به المقادير .



أكتب لك هذه الرسالة بعد قراءتى لرسالة « الجبل القوى » للأم التى أرغمت ابنتها على الزواج ممَّنْ لا ترغبه ، فذبلت وتدهورت صحتها بعد الزواج .. وورحلت عن الحياة بعد قليل .. وشعرت الأم بالندم الشديد على ما فعلت بابنتها ، فلقد كانت لى كأم تجربة قريبة من ذلك وإن لم تبلغ حد المأساة والحمد لله .

فأنا سيدة فى الخمسينيات من عمرى وأشغل وظيفة حكومية مرموقة ، وزوجة لرجل له اسمه ومكانته ، ولى ابن وابنة ، تخرجا فى كليتين مرموقتين ، وعملا ، ومنذ التحقت ابنتى بالجامعة بدأ الخطاب يتقدمون إليها لجمالها ورقتها وتهذيبها .

لكنها فضلت ألا ترتبط بأحد خلال الدراسة وأيدتها فى ذلك ووقفت إلى جانبها فى مواجهة بطش أبيها حين كان يقسو عليها ، خاصة أنه كان يتعجل زواجها ، وطوال تلك الفترة كنت صديقة ابنتى وكاتمة أسرارها .. وبعد تخرجها عملت بإحدى الوزارات

وبدأت تحكى لى عن زميل لها فى العمل وكيف أنه معجب بها وهى تبادله نفس الإعجاب ، ولكن دون أن يصرح أحدهما للآخر بشيء ، ثم حدث أن تقدم لطلب يدها ابن لأحد أصدقاء زوجى ، ولجأت إليَّ ابنتى لكى أساعدها أمام أبيها فى رفض هذا الشاب ، لكنى تخليت عنها بالرغم من علمي بمشاعرها تجاه زميلها فى العمل ، وكان منطقى فى ذلك أنه لم يصرح لها بنيته تجاهها . وتحت ضغط زوجى قبلت ابنتى أن تتعرف على العريس الجديد ، وتم ترتيب لقاء بينهما فلم تنجذب إليه .. لكن ضغط الأب استمر فقبلت بمقابلته مرة أخرى عسى أن تفلح فى الاقتراب منه . ولم تختلف نتيجة اللقاء الثانى عن الأول .. وتمسكت برفض هذا الشاب .. وفى هذه الأثناء كان زميلها فى العمل قد باح لها بحبه ورغبته فى التقدم إليها ، وطارت هى فرحاً بذلك وهرولت لتزف لى الخبر ، لكنى صدمتها بأنى لن أقبل إلا بمَنْ اختاره لها أبوها ويصمم عليه . وماتت الفرحة فى وجهها .. واكتأبت .. ومرضت وشكت للأهل، فعقدوا جلسة عائلية اتفقوا فيها على رفض الشاب الذى يصر عليه زوجى ما دامت ابنتنا ترفضه .

وانتظر زوجى إلى أن شفيت ابنتنا من وعكتها الصحية ، ثم أبلغها برأيه النهائى وهو أنه لن يقبل الضغط عليه ولن يرجع عن قراره بشأنها ..

وعبثاً حاولت ابنتى استعطاف أبيها لكى يعطى فتاها فرصة واحدة يقابله فيها ويحدد بعد ذلك رأيه .. ولكن بلا جدوى .. وجاءتنى ابنتى تستنجد بى وتستعطفنى بكل كلمات الحب والعطف والصداقة التى تجمعنا أن أساندها فى موقفها .. فنهرتها وأبلغتها أننى لن أستطيع مساعدتها .. ويئست ابنتى منا تماماً،

فلجأت إلى أحد أقاربنا تطلب منه النصيحة فطلب منها أن تسعى لترتيب لقاء بين فتاها وبين أبيها عسى أن يغير الأب رأيه حين يعرفه ويجده شاباً طيباً ومهذباً ، ونفذت ابنتى النصيحة وطلبت من فتاها أن يتوجه للقاء أبيها ، وذهب الفتى لمقابلته وهو خالى الذهن تقريباً عما يدور بشأنه فى أسرتنا .. وفوجىء بزوجى يستقبله استقبالاً سيئاً ويعيره بضعف إمكاناته المادية بل ويهدده أيضاً بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم يبتعد عن ابنتنا ، ورجع الفتى من المقابلة ثائراً على ابنتى .. وجرى كل ذلك وأنا أتفرج على ما يحدث ولا أحاول منعه أو التخفيف منه وبعد بضعة أيام جاءتنا ابنتنا لتطلب منا على استحياء أن نستمع إليها ونعطيها الفرصة لأن تعبر عن نفسها معنا ، ومنحناها الفرصة فتحدثت بحرارة عن نبل هذا الشاب وكرم أخلاقه وتمسكه بها بالرغم مما تعرض له من إهانة قاسية من أبيها واختتمت حديثها برجائها وتوسلاتها لنا ألا نحرمها ممن ترغبه .. فلم يزدنا حديثها الحار عن فتاها إلا سخرية منه ومن شكله وظروفه .. وانصرفت الفتاة دامعة وهى تشعر بالخجل والقهر .. وبالرغم من ذلك، فإنها لم تكف عن محاولاتها معنا .. ويبدو أنها قد ألحت على فتاها أن يتغاضى عما لقيه من هوان على يد زوجى ويذهب لمقابلته مرة ثانية ، فذهب إليه وكرر عليه رجاءه .. وكرر زوجى إهانته له وزاد عليها بأن طرده من مكتبه شر طردة ثم اتصل بى زوجى ليبلغنى بما حدث ، فما كان منى إلا أن انهلت على ابنتى الشابة التى كانت قد تجاوزت الرابعة والعشرين وقتها بالضرب حتى أغمى عليها .. وحين أفاقت أشاحت بوجهها عنى وشعرت بأن شيئاً قد انكسر فى علاقتى بها ولم يعد ممكناً إصلاحه !

ومع ذلك، فلقد تماديت أنا وزوجى فى عنادنا معها .. ونفذ والدها تهديده لها بمنعها من الذهاب للعمل ، وتقدم لجهة عملها بطلب باسمها للحصول على إجازة بدون مرتب ومنعها من مغادرة البيت .

وشددنا عليها الحصار داخله .. فحتى صديقاتها منعناهن من زيارتها فراحت تذبل وتصاب بنوبات من الاكتئاب أو البكاء بالساعات الطويلة وفقدت الكثير من وزنها دون أن يرق لها قلبانا أبداً ولا أعرف لماذا ، وحتى حين سمح لها والدها بالخروج ومقابلة صديقاتها، فإن حالتها الصحية والنفسية لم تتحسن بل ازدادت سوءاً .

وبعد بضعة شهور ذهبت ابنتى إلى عملها لتجدد إجازتها فالتقت بزميلها هناك ، وأبلغها بأنه ما زال متمسكاً بها لكنه كان يظن أنها قد غيرت رأيها تجاهه بسبب انقطاعها عن العمل . وتعاهدا فيما يبدو على مواصلة الصبر والكفاح إلى أن يحققا رغبتهما . ورجعت ابنتى من عملها وهى أفضل حالاً.. ولجأت من جديد إلى قريبنا الذى تدخل من قبل من أجلها .. وقابل الرجل زميلها وأعجب به وتحمس له .. وتجددت المحاولات المضنية معنا.. وفى النهاية قال زوجى إنه لن يعطى قراراً بالقبول ولا بالرفض ، وبعد أسابيع من المحاولات المريرة قبل على مضض أن تتم الخطبة ولكن بلا أية مشاركة من جانبه فيها .. وأقسم فى هذه اللحظة بأنه لن يضع يده فى يد هذا الشاب أو أيدى أهله مهما يفعل . ولا تسلنى أين كنت أنا من كل ذلك .. ولا لماذا لم أقدر إصرار ابنتى على هذا الشاب تقديراً سليماً وأساعدها على الارتباط به .. فلقد كان العناد يسيطر علىّ .. وكنت أنا وزوجى نعتبر إصرار

ابنتنا على هذا الشاب بالذات معناه أنها لا تقيم وزناً لآرائنا فيه أو في حياتها وقد زاد من حساسية الموقف أن ابني الأكبر كان يستعد في ذلك الوقت للزواج وكان زوجي لا يبخل عليه بشيء من تكاليف الزواج .. في حين نفض يده تماماً من تكاليف الاستعداد لخطبة ابنته ، وكأنها أمر لا يخصنا في شيء !

وجاء اليوم المحدد للخطبة .. وكان مكانها هو بيت قريبنا الذى يساند ابنتي ، وذهبت هي إلى هناك وهي تنظر للمرة الأخيرة نظرة الأمل الضعيف في أن نغير موقفنا منها في اللحظة الأخيرة ونتوجه إلى بيت قريبنا لنحضر خطبتها ونفرح بها كما يفعل كل أب وأم .. لكن العناد والقسوة استمرا إلى ما لا نهاية ، وتمت الخطبة وهي وحيدة كأنها يتيمة وبغير أن يحضرها أبوها وأمها وحتى شقيقها أيضاً !

وبدأت مرحلة الخطبة .. وحاول خطيب ابنتنا التودد إلينا بشتى الوسائل والحيل، فكان يقابل منا باستمرار بالجفاء والتحفظ .

وظل الحال على هذا النحو إلى أن تم الزواج .

ولن أقول لك إن زوجي قد تمسك بموقفه من نفض يده من زواج ابنته إلى النهاية ، لأنها تزوجت ممَّنْ لم يختره لها .. وإنما سأقول لك إنه قد أعطاها ولكن بتحفظ وكأنما يؤدي واجباً ليس سعيداً بأدائه .. وأن ابنتنا إدراكا منها لهذا الموقف لم تطلب شيئاً كثيراً ولم تتصرف كابنة ترى من حقها على أهلها أن يقدموا لها أفضل ما عندهم .. فكانت تفرح بالقليل الذى يقدم لها وكأنها لم تكن تتوقع شيئاً بالمرة . وكانت تسعد بكل لفتة ولو جاءت عفوية وتتلمس دائماً رضانا وتتودد لنا .. ولكن بلا طائل وتم

الزواج وبدأت المرحلة الجديدة فى حياتها وحياتنا ..

فما رأيك يا سيدى لو قلت لك إنه وبعد مرور أربع سنوات الآن على زواج ابنتنا قد أثبتت لنا الأيام خطأ معظم أفكارنا وتصوراتنا عن السعادة والأمان اللذين كنا نطلبهما لأبنائنا ؟

وما رأيك لو قلت لك إن ابنتنا هذه سعيدة بحياتها وزوجها بالرغم من إمكاناتهما المحدودة ويطل من وجهيهما دائماً الرضا والابتهاج .

وما رأيك لو قلت لك إن الأيام قد جعلت من هذا الشاب الذى طالما قسونا عليه وأهناه قرة عين لى ولزوجى بعد أن كسبنا إلى صفه بكرم أخلاقه ووفائه وطيب عنصره .. ومودته لنا ووقوفه إلى جانب زوجى حين مرض .. وخاصة أن ابننا الوحيد قد انشغل بزوجته وحياته الخاصة عن الجميع .

إننى أريد أن اعترف بخطئى فى حق ابنتى وخطأ زوجى كذلك الذى اعترف به وأريد أن أكرر عبارتك التى جاءت فى تعليقك على رسالة «الجبل القوى» وأناشد معك كل الآباء والأمهات « ألا تتحجر قلوبهم أمام رغبات الأبناء إذا كانت عادلة ومشروعة وأن يتيحوا لهم الفرصة لأن يعبروا عن أنفسهم ورغباتهم بحرية » ، وألا يرغموهم على ما يكرهون لأنهم لا يملكون لهم فى النهاية سوى النصح والإرشاد .

ولقد كتبت رسالتى هذه لأعترف بأخطائى .. ولأقول لك إننى أحاول الآن بكل جهد أن أصلح الشىء المكسور فى علاقتى بابنتى، وأرجو أن أنجح فى ذلك وأنصح كل أم بألا تتخلى عن ابنتها حين تحتاج إليها والسلام .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

تجربة الأيام تعلمنا الكثير والكثير يا سيدتي .. وما أكثر ما نتحسب لأشياء ونخشى أن تحمل لنا أو لأعزائنا التعاسة في المستقبل، فإذا بالأيام تثبت لنا خطأ ظنوننا ، والعقلاء وحدهم هم الذين ينتصحون ويؤمنون بأن رأيهم صواب يحتمل الخطأ ورأى مخالفهم خطأ يحتمل الصواب ، كما علمنا ذلك الإمام أبو حنيفة النعمان - رضى الله عنه - فلا يتحجرون عند آرائهم ويرونها وحدها الحق الذى لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه ، ولا يغلقون عقولهم في وجه آراء الغير وجوانب الحق فيها .. واحتمالات صحتها وسلامتها ولهذا فلقد تعجبت طويلا لتحجر زوجك وتحجرك معه للأسف في موقفكما من ابنتكما الرشيدة واختيارها لحياتها ، وهو اختيار لا يمكن إنكاره عليها بسند من الدين أو الشرع .. كما تعجبت أكثر لأن يحول بعض الآباء والأمهات علاقتهم بأبنائهم إلى علاقة صراع وتحد للإرادات لابد أن ينتهي بانتصار أحد الطرفين وهزيمة الآخر ، بدلا من أن تكون كما أرادها الله سبحانه وتعالى لنا علاقة رحمة ومودة وتفاعل متبادل وفهم مشترك لدوافع كل طرف وتقدير لأسبابه وظروفه ..

أما أكثر ما عجبت له حقاً فهو تحول هذه العلاقة إلى علاقة « عناد » يأبى أحد الطرفين معه أن يتنازل عن رأيه ولو بدا له أن الجميع يخالفونه فيه لمجرد الاستمساك بالرأى الخاطىء والنفور من الاعتراف بالخطأ مع أن الاعتراف بالحق فضيلة .. والإصرار على الموقف الخاطىء خطأ مضاعف ، والعناد دائماً دليل على ضعف الحجة وليس وجاهة الرأى وقوة البرهان ،

وقديماً قال الفيلسوف الإنجليزى برتراند راسل إن العناد دليل على نقص الذكاء لأن أصحابه « متأكدون » جداً من صحة آرائهم .. أما الأذكياء حقاً فيملؤهم الشك دائماً فى صحة ما يبدون من آراء وما يتخذون من مواقف .. ولهذا فهم أسرع من غيرهم استعداداً لمراجعة آرائهم والعدول عنها إذا ثبت لهم خطؤها وأقدر دائماً من غيرهم على استبصار أوجه الحق فى آراء الغير والاقتناع بها .

ولن ألجأ إلى الاستشهاد بأقوال علماء النفس والتربية المحدثين للتدليل على خطأ موقف زوجك وموقفك السابقين من هذه الابنة الشابة .. وإنما سأرجع فقط إلى « الأصول » التى لو كانت حية دائماً فى أذهاننا لما ضللنا الطريق إلى الحكمة والعدل والرشاد فى كل العلاقات الإنسانية وليس فقط فى علاقتنا بأبنائنا ، فمنذ أكثر من ١٤ قرناً من الزمان أمر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من استأمروه أن يزوجوا ابنتهم للفقير الذى تحبه لا للغنى الذى يريدونه لها.

وقال ﷺ « لم نر للمتحابين مثل النكاح » أى لم نر لمشكلتهم حلاً ولا دواء شافياً إلا أن يتزوجوا ممن يحبون ويسكن كل منهم إلى جوار مَنْ يحب فيتجنبوا الإثم ويعيشوا فى طاعة ربهم وينعموا بحياتهم .

فلماذا نتجاهل هذا الهدى الحكيم فى تعاملنا مع أمور حياتنا ؟

ولماذا يغالى بعضنا دائماً فى تقدير الذات وفى الإحساس بالتميز على الغير فيضلهم إحساسهم هذا عن سواء السبيل ويشعرهم دائماً بالاستعلاء الاجتماعى والمادى على الآخرين..

فى الوقت الذى قد لا تكون فيه الفوارق الحقيقية بين الطرفين بمثل هذا التباين الذى يحسه الطرف المستعلى لكنه الإحساس الكاذب غالباً بتقدير الذات .

نعم إن التكافؤ بين الطرفين من شروط الزواج الناجح أو المرشح للنجاح والاستمرار .. لكن هذا التكافؤ نفسه أنواع .. من أهمها لنجاح الزواج واستمراره التكافؤ العائلى والاجتماعى والثقافى ، ومن أقلها تأثيراً على نجاح الزواج أو فشله التكافؤ المادى .. لأن الطرفين قد يتفاوت حظ كل منهما من المال ، لكنهما يتكافآن بالرغم من ذلك وهو الأهم فى المستوى العائلى والثقافى بمعنى أن تكون القيم العائلية والأخلاقية والدينية السائدة فى وسط كل منهما متماثلة أو متقاربة وليست متنافرة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما نجح زواج الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من السيدة خديجة رضى الله عنها ودام حتى لقيت وجه ربها راضية مرضية ، وقد كانت ذات مال ولم يكن الرسول الكريم كذلك ولا عجب فى ذلك لأن الناس يتعاشرون بأخلاقياتهم ومثلهم العليا وقيمهم الدينية ورؤيتهم للحياة وليس بأموالهم .

ولقد أخطأت يا سيدتى فى علاقتك بابنتك الوحيدة طويلاً ، وكان أكبر أخطائك هو أنك لم تعينى زوجك على اتخاذ الموقف الحكيم الرشيد من رغبة ابنته المشروعة فى الزواج ممَّنْ لا يعيبه فى نظره سوى ضعف إمكاناته بالمقارنة بمَنْ هو أفضل منه ، وكان من أبشعها أنك لم تفتحى صدرك لهذه الابنة وتتفهمى مشاعرها ورغباتها وتعينيها على تحقيقها بالطريق المشروع وبإقناع زوجك بألا يحرم ابنته من تأييده

لها فى اختيارها لحياتها وقيامه بواجبه كأب معها .. وباتخاذ الموقف الرحيم من هذه الابنة حتى لو لم تكونى أنت وزوجك مقتنعين تماماً بأفضلية اختيارها لنفسها ، وبدلاً من أن تفعلى ذلك، فلقد التزمت موقف التحجر عند الرأى الثابت الذى لا يقبل النقض ولا المناقشة ، وموقف العناد الأصم بدلا من موقف المرونة والعطف . غير أن الأمور تقدر بخواتيمها وليس ببداياتها ، ولهذا فإن الفرصة لم تضع بعد لإصلاح الشىء المكسور بينك وبين ابنتك ولا بين زوجك وبينها ، كما أن الفرصة لم تضع كذلك لتعويض الأعزاء عما نالهم منا من قبل من أذى معنوى وحرمان .. وخير اعتذار عن أخطائنا السابقة هو أن ننهض على الفور لتصحيح الأخطاء وتعويض الخسائر .. واسترضاء النفوس . وفى مثل حالتكما يا سيدتى فإن الكلمات والمشاعر قد لا تكفى وحدها لتصحيح الأخطاء .. وإنما ينبغى أن يقارنها العمل .. والفعل .. والعطاء .. فانظرا ماذا حرمتما منه ابنتكما خلال مرحلة الاستعداد لزواجها .. وعوضاها عنه الآن .. وانظرا ماذا قصرتما فيه فى هذه المرحلة بسبب غضبكما الصامت على اختيارها لشريك حياتها وسارعا بسد نقصه وجبر كسوره .

فنحن كما قال الشاعر هنرى ثورور لا نستطيع أن نجعل أيامنا فى الدنيا أطول مما هى عليه ، لكننا نستطيع بالتأكيد أن نجعلها أفضل ! فأجعلا إذن أيامكما وأيام هذه الابنة الشابة وزوجها الأمين أفضل مما هى عليه .. وشكراً لكما إن فعلتما ذلك والسلام .



كان أصدقائي يعتبرونني منذ الصغر « حكيم » الشلة .. وصاحب الرأى والمشورة بينهم .. لكنى أشعر الآن بأننى عاجز عن التفكير ومشتت الفكر وأحتاج إلى مشورتك ، والقصة باختصار هى أننى شاب عمرى ٣٦ عاماً أعمل بوظيفة مميزة ومنذ حوالى ٦ سنوات خطبت فتاة لمدة سنة ، ثم تزوجنا ولقد أحببت هذه الإنسانة حباً لا يتخيله أحد وأخلصت لها كل الإخلاص إلى درجة إيثارها على نفسى ، وكنت أرى سعادة الدنيا كلها فى سعادتها ، لكنها لم تشعر للأسف بعمق هذا الحب ولم تقدره حق قدره وإنما كانت تعتبره كلاماً وشعارات فقط ، وذلك بسبب الخلافات الكثيرة التى نشبت بيننا خلال فترة زواجنا ، وكانت تزعم بأن لأبى وأمى وإخوتى دوراً فى هذه الخلافات وكنت أحاول جاهداً نفى ذلك عنهم ، وشاركنى أهلى فى هذا الجهد بامتناعهم عن دخول بيتى لحوالى عامين لكى يشعروها بأنهم

لا دخل لهم بما يجرى بيننا لكن الخلاف استمر كما استمر كذلك مسلسل تركها للبيت وذهابى إليها لاسترضائها ، وفى كل مرة أبذل المستحيل معها لمصالحتها وإعادتها إلى عشها .. لكنى لم أستطع الاستمرار فى مسلسل الصلح الذى أشعر فيه كل مرة بالضعف والانكسار أمام أهلها إلى ما لا نهاية ورضخت لمطلبها بالانفصال .. وتم الطلاق منذ ما يقرب من عام بعد زواج لم يدم أكثر من ٤ سنوات وأثمر طفلا عمره الآن أربعة أعوام . وبعد الانفصال حرصت على أن آخذ ابنى فى نهاية كل أسبوع للمبيت معى ليلة واحدة ثم أعيده فى اليوم التالى إلى أمه .. وكم تألمت وأتألم حين أشعر بأن الطفل الصغير قد بدأ يحس بأن هناك فراقاً بين أمه وأبيه ، وكم تعذبت لفراقه طوال أيام الأسبوع كما تعذبت بالقلب الذى ما زال ينبض بالحب للزوجة السابقة بالرغم من عنادها الشديد وتفكيرها المريض الذى يوحى لها بأنه من المستحيل أن ينصلح الحال بيننا ذات يوم .

وبعد مضى ٨ أشهر على الطلاق حاولت العودة إليها واستعادة حياتنا السابقة من أجل طفلنا ومن أجل القلب الذى ما زال يحبها وكلفت زوج شقيقتى بمفاتحتها فى ذلك ، فجاء الرد بالرفض وبعد فترة أخرى تشجعت وفاتحت مطلقتى وأمها فى الأمر أكثر من مرة فى حضور طفلنا ، وجاء الرد مرة ثانية وثالثة ورابعة بالرفض لاقتناعها باستحالة استئناف الحياة بيننا لاختلاف الطباع .. وتناست طفلنا الذى يجلس بيننا ولا يدرى شيئاً عما يدور حوله من حديث يتناول مستقبله وحياته ، ولو أدرك ما يجرى لبكى وصاح فى وجه أمه قائلاً لها حرام عليك ما تفعلينه بى .. لكن فلسفتها الخاصة فى ذلك هى أن الطفل

يلقى كل رعاية منها ومن أهلها .. ومنى ومن أهلى .. فماذا ينقصه وماذا يضيره من نشأته بين أبوين منفصلين .. وماذا سوف يقدم هو لنا بعد أن يكبر ـ لكى نضحى الآن من أجله بالعودة لاستئناف الحياة بيننا ؟

ثم كانت المفاجأة القاتلة خلال محاولتى الأخيرة معها للم شمل الأسرة .. وهى أنها قد ارتبطت بغيرى وكل شىء نصيب !

ولقد كانت الصدمة صاعقة لى ، ومنذ ذلك اليوم وأنا فاقد الثقة فى كل شىء .. لكنه لا مفر من أن أتعامل مع الواقع وأبدأ التفكير فى غيرها ، متمنياً لها السعادة مع غيرى ، فقط أتساءل : وأية سعادة تنتظرها وهى تبدأ حياتها الجديدة بالتضحية بزوج يحبها وأب حنون لابنها .. وأية سعادة سوف تهنأ بها على حساب طفلها الذى ستتركه بالضرورة مع أمها لتبدأ مع زوج آخر حياة جديدة !

إننى ولشدة حبى لابنى أصبحت لا أرغب فى أن أنجب مرة أخرى إذا تزوجت ثانية لكيلا تكون له زوجة أب تفضل ابنها عليه، وبدأت أفكر فى امرأة لا تنجب إلى أن قرأت رسالة « الانسحاب الهادىء » للسيدة الجميلة التى طلقت لعدم الإنجاب وتشعر بأن لديها من الحنان والعطف ما سوف تقدمه لأسرة جديدة .. فهل تكون هذه السيدة هى تعويض الحياة لى عما يمور فى نفسى من أحاسيس مؤلمة .. وهل أكون أنا كذلك تعويضها عما لاقت فى حياتها .

إننى أتطلع إلى السعادة كغيرى من البشر وأشعر بأن الله وحده هو القادر على أن يبدل ما أشعر به من كرب فى نفسى .. ويحيله إلى سعادة فماذا تقول لى وبماذا تشير علىَّ ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كان الكاتب الأيرلندى العظيم برنارد شو يقول : تعرف أنك عاشق حين تبدأ في التصرف ضد مصلحتك الشخصية !

ولا شك في أنك قد أحببت زوجتك السابقة حباً كبيراً ، وتحملت في سبيل الأمل في استعادتها ولم شمل أسرتك معها الكثير مما لا يتحمله غيرك من السعى والاستجداء .. ومن المؤسف حقاً أن يحمل المرء لأحد كل هذا الحب فلا يلقى منه إلا الصدود ..

غير أن الواقع يفرض علينا في كثير من الأحيان أن نتعامل مع حقائقه مهما تكن مجافية لآمالنا ورغباتنا الحقيقية .. والواقع يقول لنا إن زوجتك السابقة لم تحمل لك بعض ما حملته لها من حب ورغبة فيها ، وإنها قد طوت صفحة تجربتها معك إلى الأبد .. وراحت تخطط لحياة جديدة لا مكان لك فيها ، ومن واجبنا تجاه أنفسنا أن نسلم أحياناً بالفشل في تحقيق بعض ما كنا نرجوه لأنفسنا ... وأن نتقبل فشلنا بروح عالية لا تسمح له بأن ينال من إحساسنا بالجدارة .. ولا من ثقتنا في النفس أو إيماننا بحقها في السعادة .. فإذا كنا قد خسرنا مَنْ أخلصنا له الحب ورجوناه كثيراً لأنفسنا فلقد خسرنا هو أيضاً بنفس القدر وخسر عاطفتنا الصادقة تجاهه .. وهيهات أن تعوضه الحياة نفس هذه العاطفة الدافقة التي حملناها له .. وإذا كنا قد شقينا بفقد الحب فلقد نعمنا لفترة ثمينة من العمر بمعايشة أحاسيسه النادرة وخبرنا حلوها ومرها .. وليس عيباً في النهاية أن نحب ذات يوم مَنْ لم يبادلنا مشاعرنا المخلصة ، لكن العيب كل العيب هو أن نمتهن أنفسنا وكرامتنا الإنسانية في استجداء حب مَنْ لا يحمل لنا بعض ما نحمله له من مشاعر طاغية ، وإذا كنت قد صدمت بالمفاجأة القاتلة حين جوبهت بالرفض للمرة

العاشـرة لأن زوجتك السابقـة قد ارتبطت بغيـرك ، وصدمت بمنطقها الأنانى الذى لا يؤمن بالتضحية من أجل الطفل ، فلأن كلا منكما كـان يتعامل مع الموقف برؤية مخـتلفة ، ولسنا هنا بصدد تقويم فلسـفة زوجتك فى رفض التضـحية .. أو رفض المحاولة مرة أخرى من أجل الطفل الصغير ونشأته الآمنة بين أبويه ، لكنى سـأقول لك فـقط ما قلتـه مراراً من قـبل وهو أن التضحـية لا تطلب من أحد وإنما تنبع من نفس مـانحها ومن إحساسه الداخلى بالإيثار .. وهو إحساس لا يمكن فرضه على أحد لا يشعر به فى أعماقه ولا تجدى المناشدة فى تحريكه فى قلب مَنْ لا يستشـعر مسئولـيته عن سعادة الغـير إلى جانب مسئوليته عن سعادته الشخصية .

فدع زوجتك السابقة إذن لما اخـتارته لحياتها .. ولما سوف تتـحمله من تبـعات هذا الاخـتيـار . وابدأ أنت أيضاً صـفحـة جديدة من حياتك ، مسلحاً بخبرة الفشل فى التجربة السابقة، وأهم دروسـهـا أن الزواج لا ينجـح ولا يسـتـمـر بحب أحـد الطرفـين للآخـر فـقط وإنما بالحـب المتـبـادل بين الطرفـين وبحـسن المعـاشـرة .. والرغـبـة المشتـركـة فى السـعـادة ، والإحسـاس المتبادل بالمسئولية عن نجـاح الحياة الزوجـية وسـعادة الأبناء ، وبالرؤية المتـقـاربة للأمور الأسـاسيـة فى الحياة .. وبالتطلع المشترك إلى الأمان والاستقرار .

أمـا تفكيـرك فى الارتبـاط بكاتبـة رسـالة «الانسـحـاب الهادىء» فـهو تفكير سليم .. فـخير ما يقـرب الزواج للنجاح والاستمرار هو ما يقدم لأطرافها الحل الملائم لمشاكل كل منهم.. ويشبع احتـياجاته وتطلعه الصادق إلى السـعادة وتعويض الخسائر ومسح الأحزان .



ترددت طويلاً فى الكتابة إليك .. حيث إن مشكلتى نادرة وقد تكاد تكون من عجائب الدنيا التى نعيشها فى عصرنا الحالى الملىء بالماديات وحسابات المكسب والخسارة .

فأنا رجل أبلغ الخامسة والخمسين من العمر.. ثقافتى عالية ومتفقه فى أمور الدين إلى الحد الذى وصل بى إلى منابر المساجد خطيباً فى الناس كل يوم جمعة لسنوات ولم أنقطع إلا أخيراً بعدما صارت مشكلتى تحرجنى حتى على المنبر .. ولكيلا أطيل عليكم فإن مشكلتى تنحصر فى جملة واحدة هى (أننى رجل بكَّاء) .. أى كثير البكاء .. فجميع المواقف الإنسانية تبكينى .. لا أبكي الموت ولكنى أبكى على مشاعر مَنْ تركهم الراحل.. إذا ضربت الأم أى أم ابنها ثم عادت واحتضنته حناناً ورأفة أبكى .. إذا قرأت عن الجحود بين الإنسان وأخيه الإنسان أبكى ، وإذا تحدثت فى إحدى خطبى بالمسجد عما لاقاه الرسول الكريم

صلوات الله عليه وسلامه من معاناة وجحود وقسوة على أيدى أهله وعشيرته .. أو سردت على الناس موقفاً عصيباً من عشرات المواقف التى عاناها يختنق صوتى فلا يخرج وتنهمر دموعى وأجاهد كى أتماسك لكى أكمل حديثى للناس .. وكنت أموت خجلاً من هذا الموقف مما دفعنى فى النهاية إلى الهروب من أى منبر أدعى لإلقاء خطبة الجمعة منه .

وإذا جلست مع بناتى نشاهد فيلماً بالتليفزيون تدور قصته عن الظلم أبكى حين تُرد المظالم لأصحابها مع أننى لا أعانى والحمد لله شيئا من الظلم وسعيد بأسرتى التى تضم أربع بنات وولداً جميعهم فى مراحل التعليم المختلفة .. بناتى يحببننى إلى درجة العشق وأمهن - أى زوجتى - ترانى أسطورة تعيش فى زمن خلا من المعجزات والأساطير وأحظى بالحب والاحترام فى عملى ولا أحمل ضغينة لأحد وحياتى مستورة والحمد لله ، يحكمها المثل القائل : « الله جاب .. الله أخد .. الله عليه العوض » .. فهل أنا مريض نفسياً.. هل أحتاج إلى طبيب نفسى يعالج هذه الحساسية المفرطة عندى .. وإذا رأيت أننى فعلا أحتاج إلى طبيب نفسى، فهل أجد علاجى عند أحد الأطباء من معارفك بتوصية منك فلا يغتال مواردى المتواضعة فى أسعار الجلسات والأدوية .. لقد امتنعت نهائياً عن مشاركة الزملاء مشاكلهم وهمومهم .. وامتنعت نهائياً عن اعتلاء أى منبر سواء فى مسجد أو فى ندوة ثقافية لهذا السبب .. فهل أجد المساعدة التى أنشدها لديكم ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

رقة المشاعر ليست مرضاً نفسياً ، وبكاؤك فى المواقف التى تستدر الدمع أمر طبيعى لِمَنْ كان مرهف الحس مثلك ولقد

عرفت رجالاً أشداء تغلبهم دموعهم في مثل هذه المواقف فلا يخجلون من بكائهم .. وماذا يدعوهم إلى ذلك ولو كان البكاء عيباً لما كان الأنبياء جميعهم بكائين ولما ذرفوا الدمع الطاهر في مواطن الحزن والبكاء ، ولما بكى الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أكثر من مرة وهم يخطبون الناس أو يصلون بهم .. ولما بكى عمر بن الخطاب حتى ابتلت لحيته الشيباء وهو يؤم الناس في الصلاة حين قرأ من سورة يوسف ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

ولما قال العباس بن الأحنف :

نم دمعي فليس يكتم شيئاً ووجدت اللسان ذا كتمان

ولا عجب في ذلك لأنه لا يلام الإنسان إن كان إنساناً ، وإنما يلام إن كان قاسي القلب ، جامد المشاعر .. والمشكلة الحقيقية التي تواجهها هي غلبة الدمع عليك في مواقف الخطابة والإلقاء وعجزك عن الاستمرار فيهما لهذا السبب ، وفي ذلك فقد تكون المساعدة النفسية أو الطبية مطلوبة .. إذ أن بعض الأشخاص يتميزون بنشاط زائد لغددهم الدمعية ويمكن عن طريق العلاج ردها إلى الاعتدال ، كما أن المساعدة النفسية قد تعين مع التدريب والاستبصار الذاتي على التحكم في النفس في مواجهة الآخرين .. وإن كنت مازلت على رأيي في أنه لا عيب في أن يغلبك البكاء حتى وأنت فوق المنبر .

الوجه الآخر!

كدت أموت من الضحك وأنا أقرأ رسالة « البكاء » لهذا الصديق الذى يشكو فيها إليك أنه كثير البكاء ولا يستطيع أن يتحكم فى دموعه فى كل المواقف .

وسألتكم ألف عفو وألف معذرة لنوبة الضحك هذه التى انتابتنى وأنا أقرأ تلك الرسالة ، فالله وحده يعلم أننى لا أسخر من سطورها .. ولكنه وكما قلت فى ردك على رسالة البكاء ، أن هناك غدة دمعية تسبب البكاء ، فإنى أعتقد أن هناك غدة أخرى تسبب الضحك ويبدو أن هذه الغدة متضخمة عندى منذ الصغر .. إذ أننى لا أملك نفسى إطلاقاً فى أحلك المواقف والظروف فما بالك بالمواقف الكوميدية التى تثير الضحك أصلاً .

إننى أذكر فى طفولتى أن أمى كانت تصحبنى معها إلى السينما الصيفية التى كانت بجوار منزلنا ، وكنت أحس بأن دموعها تنهمر وهى تشاهد أمينة رزق فى مواقف مؤثرة ، بينما أنا بجوارها أضحك مقهقهاً . وفى المرحلة الإعدادية كنت أعانى الأمرين بسبب ضحكاتى ، وكنت هدفاً لكل المدرسين من صفع وركل وكنت أبكى بشدة لذلك ، ولكنى عندما كنت أخلو إلى نفسى سرعان ما كنت أنفجر فى ضحك متواصل وأنا أستعيد فى ذاكرتى منظر المدرس وهو يجرى ورائى ليضربنى بالشلوت .

وفى المرحلة الثانوية كنت أطرد من المدرسة يوماً بعد آخر ولا أحضر إلا بولى أمرى الذى يجىء معى ويشرح للمسئولين «مأساتى » .

كمـا أذكر أن أبى ضربنى ذات يوم بخـرطوم على وجهى لأنى ضحكت بشدة وأنا أراه يبكى بحرقة يوم وفاة والدته أى جدتى .. ولقد أضحكنـى رغماً عنى أن جسمـه السمين كان يهـتز بشدة لم أتمالك نفسى من الضحك .

وفى المرحلة الجامـعية تجنبت المجـاملة فى المناسبـات الحزينة فلا أدخل سرادق عزاء ولا أسـير فى جنازة ولا أواسى صديقاً أو زميلاً ، وبالرغم من ذلك فأنا محبوب جداً فى عملى وبين زملائى وجلساتى كلها ضحك فى ضحك دون إرادة منى ، ولا شك فى أن زوجـتى لا يعجـبهـا هذا ويبـدو أنها تحلم بين وقت وآخـر بزوج نكدى ليشخـط فيها بعض الوقت لا زوج ضاحك أمـام كل مشكلة تصادفهمـا فى حياتهما الزوجيـة أو زوج غارق دائماً فى الضحك أمام شاشة التليفزيون بأفلامه القديمة والجديدة على السواء ومن أخطاء المذيعات وهـن يتلعثمن فى الكلمـات ، فلقد كـاد يغمى علىَّ ذات ليلة من الضـحك لمجـرد أن المذيعة اللامـعـة أخطأت فى نطق عبارة « شديدة البرودة » ونطقتها شديد البرورة .

وإذا كان صـاحب رسالـة « البكاء » حزيناً لأنه لم يعـد يخطب من فوق المنابر لأن صوته ينحبس ويتحـشرج من البكاء فأنا أكثر منه حزناً لأنى مـحروم من صلاة الجـمعة وصلاة الأعـياد أو أى صلاة جماعة فى أى مسجد .

وكـثيـراً ما عـانيت من عـتاب ولـوم وتجريح وزجـر وتوبيخ وأحيـاناً من سباب قـاس فى مناسبـات .. وكنت أحزن كثـيراً فى اللحظة ذاتهـا ، ولكن ما أن تمر هذه المواقف وهذه اللحظـات حتى أستـعيدها فى ذاكرتى وأنفـجر فى الضحك .. وكل مـا أرجوه من رسـالتى هذه أن تحـيلنى مع صـديق رسـالة «الـبكاء» إلى نفس

الطبيب الذى سوف يعالجنا معاً .. وأرجو أيضاً ألا يحسدنى أحد على ضحكاتى فى وسط مجتمع يئن من البكاء والمعاناة والألم .
وأعتقد أن الأمر كله من أمر الله سبحانه وتعالى ، إذ إنه يقول وقوله الحق فى كتابه الكريم وفى سورة النجم واصفاً ذاته القدسية :

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم]

صدق الله العظيم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

هناك نوع من اضطراب الوجدان الثابت قد يعبر عن نفسه فى بعض الأحيان بالاكتئاب ، وقد يعبر عن نفسه فى حالات أخرى نادرة بما يسميه علماء النفس « السرور المرضى »!

والسرور أو المرح المرضى اضطراب يعجز من يعانيه من كبح نزعاته دون اعتبار لنتائجها الاجتماعية عليه وعلى الآخرين كأن يستغرق فى الضحك مثلاً فى موقف يدعو إلى الحزن والأسى .. فيؤذى مشاعر المحزونين ، أو تتملكه نوبة من الضحك القهرى فى موقف يتطلب الجدية والالتزام فيسىء إلى نفسه ويحط من قدره لدى الآخرين ويتعرض لعقابهم أو ازدرائهم .

ومن قبيل ذلك أيضاً أن يعايش المرء حالة السرور الدائم بغير أسباب موضوعية تدعو إلى ذلك أو فى واقع يستدعى العكس ، كأن يفقد عزيزاً غالياً عليه ، وبدلا من أن يشعر بالحزن لفقده يجد نفسه مسروراً مبتهجاً أو أن يمنى بخسارة فادحة أو يوقع عليه عقاب صارم فى عمله فلا يجد نفسه غاضباً لذلك ولا حزيناً له لبعض الوقت .. وإنما يشعر

بالابتهاج في أعماقه ، كأنما قد فاز بجائزة كبرى ، وكل ذلك يعكس نفس حالة اضطراب الوجدان العضوى ، والمعيار الفاصل بين شدة الحالة وبساطتها هو مدى تحكم المرء في انفعالاته ، فإذا كان يستطيع كبح نزعة الضحك الجبرية لديه إلي أن يخلو بنفسه مراعاة للاعتبارات الاجتماعية، فالحالة قد لا تتطلب العلاج وقد لا تحتاج من صاحبها إلا إلى تدريب النفس علي التحكم في انفعالاتها .. أو النأى بنفسه عن المواقف التى يخشى أن يسيء التصرف فيها كما تفعل أنت الآن .

أما إذا كان العكس .. فإن الأمر يتطلب العلاج بالفعل للأسباب العضوية التى تؤدى إليها .. ذلك أن الأطباء يرجعونها إلى أسباب عضوية وليست نفسية كتأثير بعض الأدوية المخفضة لضغط الدم المرتفع عند بعض الأشخاص ، أو إلى بعض أمراض الغدد الصماء أو بعض الأمراض التى تصيب المخ .

وتقديرى هو أنك تستطيع أن تدرب نفسك على التحكم فى انفعالاتك الساخرة إلى حد ما ، بدليل أنك كنت تؤجل انفجارك بالضحك إلى حين عودتك إلى البيت لكى تأمن تفاقم عقاب المدرس لك ، ولابد أنك تفعل ذلك أيضاً مع رؤسائك فى العمل ، وإلا لما مضت حياتك العملية فى سلام .. ولما أحبك زملاؤك .. فإذا كنت قد فشلت فى التحكم فى نفسك حين بكى والدك على أمه وارتج جسمه من البكاء سامحك الله .. فلربما كان مما يؤخذ فى الاعتبار فى ذلك أنك كنت طفلاً أو صبياً صغيراً وتأمن عقاب الأب لك مهما فعلت مما أغراك بعدم التحفظ فى

الاستجابـة لهذه النزعة وقتها ، يبـقى بعد ذلك أن هذه النزعة تحـرمك بالفعل مـن أداء بعض الواجبـات الاجـتمـاعيـة ومن المشاركة فى صـلاة الجماعة وصلاة الجمـعة .. وهذا هو الأمر الذى يستـدعى القلق بالفعـل .. لأنه يعنى عجزك عن الـتحكم فى نفسك فى المواقف التى تتطلب منك ذلك .

وأحسب أنك تستطيع بالتدريب الذاتى .. وتعمد عدم تأمل الآخرين فى هذه المناسـبات للبحث عن أسباب تـدعو للضحك منهم ، أن تشارك فى هذه الواجبات بغير خطر عليك من ردود أفعال الآخرين تجاهك .

وفيـما عدا ذلـك فلا بأس بالضحك والابتـهاج بالحـياة فى المواقف التى تدعـو للمـرح حـتى ولم تدع غـيرك إليـه .. لأن استجابات البشر لدواعى السرور والحزن تختلف من شخص إلى آخر فى إطار هامش تباين معقول فى الانفعالات ..



أنا فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرى .. نشأت بين أبوين يسود بينهما الحب والتفاهم ومع إخوة أحباء من الجنسين لكل منهم حياته الخاصة الموفقة ، وقد بدأت قصتى التى دفعتنى للكتابة إليك منذ ٣ سنوات وأنا فى بداية دراستى الجامعية، فلقد تعرفت على شاب يقاربنى فى العمر ويدرس بإحدى كليات القمة وشعرت تجاهه بالاحترام والتقدير ثم لم ألبث أن شعرت بعد فترة قصيرة من تعارفنا بقلبى يخفق تجاهه وكانت المرة الأولى التى يخفق فيها لأحد .. ولم يمض وقت طويل حتى صارحنى بمشاعره وارتبط كل منا بالآخر وازداد عمق العلاقة بيننا ومضى عام على هذا الارتباط ، ثم حدث أن حضرنا معاً احتفالاً صغيراً لزواج أحد الأصدقاء عرفياً من زميلة لنا .. فطرأت الفكرة على ذهن كل منا فى وقت واحد تقريباً .. لماذا لا نفعل ما فعلاه وبالطريقة نفسها ؟

وخلال أيام أبدى كل منا رغبته فى أن نتزوج زواجاً عرفياً لا يعلم به أحد من الأهل .. ولكن بشرط أن احتفظ بعذريتى وكان دافعى إلى ذلك هو أن يطمئن قلبى إلى أن ارتباطنا سيصبح بذلك أبدياً وحتى نهاية العمر ، وبالطريقة نفسها التى تم بها زواج الصديقين أتممنا زواجنا عند أحد المحامين وأعطانى فتاى مهراً وشهد على العقد شاهدان من أصدقائه ، وعلم به بالفعل بعض الأصدقاء المحدودين على سبيل الإشهار وعشنا بضعة أشهر تملأ السعادة والحب والاحترام حياتنا إلى أن جاء يوم والتقيت به فى شقته الخاصة تلبية لرغبته ولكى أرى « عش الزوجية » الذى سأصبح ملكته المتوجة بعد التخرج كما قال لى ، وباختصار فلقد خرجت من مسكنه تلك الليلة وأنا « سيدة » ومشاعرى متضاربة بين الخوف والقلق والترقب ، وتوقفت عن الاتصال به لمدة يومين كنت خلالهما أراجع نفسى فيما انتهى إليه أمرى وأحاول تبين موضع قدمى ، فاتصل بى هو معبراً لى عن سعادته بأننى قد أصبحت زوجته بالفعل .. ومؤكداً لى أن علينا أن نستمتع بحياتنا الزوجية الكاملة خلال فترة الانتظار إلى أن نتخرج ويتمكن من تحويل الزواج العرفى إلى زواج رسمى .. ولم أكن أملك سوى إطاعته فى كل شىء وعشنا عاماً آخر كاملاً على هذا النحو لمست خلاله فى « زوجى » كل معانى الرجولة والإخلاص وكان «الجانب السيىء» الوحيد فى ذلك هو أننى كنت أشعر فى داخلى بأننى « لصة » أسرق الوقت الذى أذهب فيه لزوجى لتلبية احتياجاته .. وأسرق من أبى وأمى عمرهما الذى أضاعاه فى تربيتى ورعايتى وتوفير كل مطالبى وأحترف الكذب عليهما وأخون ثقتهما التى أعطياها لى بلا حدود ، وشق علىَّ تحمل هذا

الوضع لفترة أخرى فصارحت زوجي بأفكارى وطالبته بأن يتقدم لخطبتي خاصة أنني قد رفضت أكثر من خاطب مناسب دون إبداء أى أسباب .. فكانت الصاعقة التى أصابتنى فى مقتل حين رفض التقدم لطلب يدى وتخلى عنى متعللاً بأنه لن يتمكن من إقامة بيت وتكوين أسرة قبل عشر سنوات .. ولأنه سوف يظلمنى بزواجه منى لأن حبى له أكبر من حبه لى !

وتجلت الحقيقة المؤلمة أمامي .. وانهرت نفسياً وصحياً وذبل جمالي وماتت الضحكة فى وجهي.. وتساءلت: لماذا فعل بى ذلك؟ أليس لأننى قد تساهلت معه على طول الخط ؟

أو ليس معنى هذا أنه وبعد أن أخذ منى كل شيء يريد لنفسه الآن فتاة أكثر حرصاً على نفسها لكى يعطيها اسمه ؟ ومرت بى أيام عصيبة إلى أن تمالكت نفسى وطلبت منه الانفصال على أمل أن يرجع عن رأيه السابق .. فإذا به بعد قليل من التردد يوقع الطلاق .. وإذا بى أرى الدنيا كلها أمامى سوداء ، وأكره نفسى وكل الرجال .

وعشت فترة من أسوأ فترات عمرى .. أشعر بخوف قاتل من مواجهة كل مَنْ هم حولى وأحس بنظرات الناس جميعاً لى وأنا فى الطريق وكأنها تتهمنى فى شرفى وتلومنى على ما فعلت بنفسى وحياتى وأسرتى .. وظللت هكذا إلى أن تقدم لى شاب لم أستطع رفضه وهتف بى هاتف فى قلبى أن أقبل به خاصة أن بعض صديقاتى قد طمأننى إلى إمكان « إصلاح » الخطأ الذى تورطت فيه !

وتمت الخطبة وفوجئت خلال تعاملى مع خطيبى بنوع لم آلفه من البشر ، فهو شاب ممتاز وأخلاقه كريمة وقلبه طيب للغاية

ويزداد حباً لى يوماً بعد يوم .. فبدأت أسائل نفسى : ما ذنب هذا الشاب الطيب فى أن ينخدع فىّ ؟ ولماذا لم ألتق به قبل خطيئتى الفاجعة ؟.. وبعد تفكير غير قصير قررت ألا أتحمل وزر خديعة هذا الشاب المخلص ويكفينى ما تحملته من أوزار فى الفترة السابقة ، وصارحته بعجزى عن إتمام الزواج وقدمت له وثيقة الزواج العرفى فقرأها وغرق فى صمت عميق لعدة دقائق ثم غادر بيتنا بلا سلام .

ومضى يومان شعرت خلالهما ـ على الرغم من الأسى ـ بأننى قد « تحررت » من بعض الذنب الذى يثقل على صدرى .. ثم اتصل بى قائلاً لى إن لكل إنسان خطأ مخجلاً فى حياته وإنه على الرغم من فداحة خطئى الذى لا يغتفر ، فإننى كنت أستطيع خداعه وإتمام الزواج منه دون أن يكتشف الحقيقة ، وأن عذرى الوحيد فيما فعلت أنه كان « زواجا » حتى لو كان عرفياً .. ولم أكن قد التقيت به بعد .. وبالتالى فهو يصفح عما جرى ويرغب فى إتمام الارتباط . فشعرت بالخجل من نفسى أكثر وأكثر ، ومزقنا معاً ورقة الزواج الملعون .. واتفقنا على أن نبدأ صفحة جديدة فى حياتى خالية من الأخطاء .. وخلال ذلك إذا ببركان من الحنق والغيظ والغضب ينفجر فى قلبى تجاه فتاى الأول .. وإذا بى أتمنى أن يأتى اليوم الذى يشعر فيه بخطئه الفادح ويأتى لكى يطلب منى الصفح والعفو عنه .. أو أن يتزوج وينجب بنات يخدعهن شباب مثله بالكلام المعسول المخادع ويتخلون عنهن كما تخلى عنى ..

إننى أكتب لك هذه الرسالة لكى أحذر كل فتاة فى مثل عمرى ألا تنخدع بوهم الحب الزائف وخديعة « الزواج العرفى » التى

يتحايل بها بعض الشباب على الفتيات لكى ينالوا منهن ما يريدون، ثم يلقون بهن وراء ظهورهم كما حدث معى .. أرجو أن تؤكد هذا المعنى كما تفعل كثيراً وأن تكتب كلمة لفتاى السابق تذكره فيها بأن فى السماء رباً يمهل ولا يهمل ، ولن ينجو من عقابه عما فعل بى .. أما أنا، فإن الإحساس المرير بالذنب يقتلنى وأستغفر ربى ليلاً ونهاراً وأتساءل: هل أتمم زواجى من خطيبى الحالى بعد كل ما جرى .. خوفاً من أن يعيرنى به فى المستقبل بعد الزواج .. أم أتركه لـمَنْ هى أفضل منى .. وأنتظر شخصاً آخر لا يعلم شيئاً عما حدث وأخدعه بالطهر والعفاف المزيفين كما تفعل بعض الفتيات ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

« الجوانب السيئة » فى قصتك هذه كثيرة وليست جانباً واحداً كما تقولين فى رسالتك .. ولن أحدثك فقط عن خيانتك لثقة أبويك فيك وهما اللذان أفنيا عمريهما فى رعايتك وتلبية احتياجاتك ومنحاك ثقتهما المطلقة بلا حدود .. وإنما سأحدثك أيضاً عن الاندفاع والتهور والاجتراء على كل الأعراف والتقاليد بإقدامك على الزواج العرفى السرى من شاب يقاربك فى العمر ويدرس معك بالجامعة نفسها ، وأنت فى الثالثة والعشرين من عمرك ودون التوقف لحظة واحدة للتساؤل عن مدى مشروعية هذا الزواج .. وجديته وحله أو حرمته فى غياب الأهل وأولياء الأمر .. وهل هو الطريق الصحيح إلى الزواج المشروع العلنى فيما بعد أم أنه مجرد حيلة «قانونية» لإضفاء مشروعية كاذبة على علاقة خاصة .. والتعلل بها لاستباحة الأعراض والاغتراف من اللذة المؤقتة ، إلى أن يزهد

فيها أحد الطرفين أو يصحو من غفلته ؟

بل ودون التوقف للتساؤل عن أثر مثل هذا الزواج «المزعوم» ـ حتى لو كان قد تم في مكتب محام ووقع عليه شاهدان و « علم » به بعض الأصدقاء على سبيل الإشهار كما تقولين ـ على حياة الفتاة في المستقبل أو إذا تراجع « الزوج » عن الوفاء بعهده لـمَنْ أوقعها في حبائل هذا الشرك الخداعي ولم يتقدم لأسرة فتاته ويدخل البيوت من أبوابها لطلب يدها من أبويها كما فعل معك فتاك الأول ؟

ولو أنك حين « انبهرتما » بتجربة زواج عرفي مماثل تم بين بعض الأصدقاء ، وأغراكما ذلك كما تفعل القدوة السيئة غالباً بتقليد التجربة بدعوى « تأبيد » العلاقة وضمان استمرارها ، لو أنك قد حاولت حينذاك استقصاء أو تتبع مصير بعض حالات الزواج العرفي التي تمت بين طلبة وطالبات جامعيين أو فتية صغار خارج دائرة الأهل وبهذا المبرر المزعوم نفسه .. لتعرفي كم منها قد حقق الغرض المنشود من ورائها .. وتخرج الطرفان وتوجا قصتهما بالزواج الرسمي ، وكم منها قد انتهى بالخذلان والخيبة والغدر بالعهود ، لأدركت عمق الهاوية التي تنجرفين إليها من البداية، وعرفت أن معظم هذه الزيجات قد انتهى تقريباً بالنهاية المفجعة نفسها ، إما لأن الشاب لم يعف فتاته ـ على الرغم من دوره الكبير في إغوائها ـ من الاتهام الباطني لها بالتفريط والاستهتار بالأعراف والتقاليد ، فتخوف من الارتباط الرسمي بها بعد أن قضى منها وطره ، وإما لأن الفتاة قد اكتمل نموها النفسي والعاطفي والعقلي ، وفتر

جموحها العاطفى فرأت فى شريكها فى المغامرة شخصاً غير أهل للزواج العلنى منها ورغبت فى طى صفحته من حياتها والارتباط بمَنْ يكون لائقاً بها اجتماعياً وعائلياً ومادياً .

وعزوف الشاب عن استكمال مثل هذه القصة هو الأغلب والأعم فى الحالات المماثلة ، لكن آفة الكثيرين منا أنهم لا يتعلمون من تجارب الآخرين « ولا يصيبون بالظن » على نحو ما قاله عمرو بن العاص حين سئل عن العقل ، فقال إنه الإصابة بالظن ومعرفة ما سيكون بما قد كان !

وأبلغ دليل على ذلك هو تبرير فتاك الأول لتخليه عنك بأنه لن يستطيع تكوين أسرة قبل عشر سنوات ، فهو عذر أقبح من الذنب ، إذ يتضمن اعترافاً واضحاً منه بأنه لم يقصد بزواجه الوهمى منك « تأبيد العلاقة » وضمان استمرارها إلى حين إضفاء المشروعية عليها كما بررت أنت لنفسك إقدامك عليه .. وإنما قصد به التمتع مؤقتاً بفتاة ملبية ومخدوعة بوهم هذا الزواج المزيف .. أما خشيته عليك من أن « يظلمك » إذا تزوجك لأن حبك له أكبر من حبه لك ، فهو مبرر لا يقل بشاعه عن سابقه .. لأنه قد ظلمك بالفعل حين استدرجك لهذا الشرك .. وكان من واجبه أن يرفع عنك هذا الظلم بوفائه لك بالعهد لا أن يضاعف منه بالغدر والخذلان . وبركان الغضب والحنق الذى يتفجر فى أعماقك تجاهه له مبرراته المفهومة ، أما ما هو ليس مفهوماً حقاً، فهو ما يراودك من أمنيات مكتومة فى أن « يجىء » ذات يوم ليطلب منك صفحك عنه .. وكذلك مناشدتك لى أن أذكره برب السماء الذى يمهل ولا يهمل ولا يُبدَّل القول لديه ، إذ ماذا يهمك من أمره وقد انطوت

صفحتـه الكريهة من حياتك إلى غير رجـعة ؟ ولماذا تنشغلين بعقـاب السمـاء له ومسـتقـبل « بناته » والانشغـال نوع من الاهتمام لا يستحقه .

إن مَنْ يستحق الانشغال به حقاً هو هذا الشاب الأمين الذى قـدر لك مصـارحـتك له بحـقـيقـة أمـرك بدلا من خـديعتـه ، ولم يتـخل عنك ورغب فى إتمـام الزواج منك .. وتفكيـرك فى التـخلى عنه لـمَنْ هى أفـضل منك قـد يكون نوعـاً من عقـاب النفس وازدرائها وجلدها بأخطائها ، وقد يكون أيضاً نوعاً من الندم على مصـارحته بالحقـيقة والتـخوف من أثرها السلبى عليه حين يجمعكمـا عش الزوجية .. أو تعلقا بالأمل الغامض فى عودة مـياه النهر إلى منابعهـا بدلاً من تدفقها فى مـسارها الطبيعى إلى مصبها وهو أمل مستحيل كما ترين !

فـإذا كـان الأمـر كـذلك، فـإنى أقـول لك إن مَنْ يرغب فـينا ويحرص علينا ويتمسك بنا على الرغم من كل شيء هو أفضل لنا من كل مَنْ عـداه ، وتـفكيـرك فى خـداع شـاب ثالث وبناء حيـاتك معـه على مثل هذا الأسـاس الخادع ليس ممـا ترضاه فتاة كريمة لنفسها ولـمَنْ تختاره الأقدار لمشاركتها حياتها .

والمهم دائماً هـو أن يكون صفح خطيبك عـما جـرى قبل أن ترتبطى به صـفحاً عـقلانياً ناتجـاً عن تفكير عـميق وناضج وليس فقط بتأثير الفوران العاطفى الذى يحسه تجاهك الآن ، وفـترة الخطـبة والاسـتـعداد للـزواج يمكن أن تكون مـفيـدة بالفعل فى امتحان هذا الصفح والتأكد من عمقه وجديته .



أكتب إليك بعـد أن تداخلت أمامى الصور والأشيـاء ، واختلطت مفاهيم الخيـر والشر ، فأنا رجل فى الخمسيـن من عمرى نشأت فى أسرة مستقرة وبدأت حيـاتى العملية فور تخرجى ، ومارست عملاً حراً أعطيته كل جهدى ووقـتى .. وشعرت بأن الحياة تبتسم لى وأنه قـد آن لى أن أتزوج .. وأحظى بحيـاة عـائلية وعـاطفيـة مستقرة ، فاخترت شريكة حياتى بنفسى وكان الجمال الظاهر هو معيـار الاختيار الأول ، ولم أدرك إلا بعد فـوات الأوان أن الجمال المستتر داخل الإنسان الذى يتمثل فى جمال طباعه هو الأهم كثيراً من الجمـال البادى فى وجـهه مهـما يبلغ قـدره ، فلم يمض على زواجى سوى أسابيع قليلة حتى اكتشفت أن للحياة وجوها أخرى كثـيرة ، وأن السـعادة والاستـقرار فى الحـياة الخاصـة شيـئان بعـيـدان عن المنال مـع زوجـة لا تعـرف سـوى الانفـعـال الدائم والصراخ المستمر والصوت العالى المستفز والألفاظ الجارحة التى

تنطلق من فمـها على غيـر هدى وأحياناً بغيـر وعى ، والأسوأ من كل ذلك هو أن تقف بجانبـها أم تساندها وترى فيـما تفعل شـيئاً طبيعياً لا يستحق حتى مجرد التعليق عليه !

وحين اكتشـفت هذه الطبيعة فيهـا حاولت فى البداية أن أكون هادئاً وألا أواجه الانفـعال بالانفعـال ، وأن أمتص ثوراتها بصـبر وامتثـال لأن قرار الزواج منها كـان قرارى الشخصـى واخـتيارى الحر فـى وجه بعض التـحفظات التى أبدتهـا أسرتى علـيها قـبل الارتباط ، فـمضت الشـهور الأولى وأنا أحاول إقنـاع نفسى بأن العشرة الطيبة من جانبى وأسلوب تعاملى معها سوف يغيران من حدة طبعها ويحببان إليها الحـياة الهادئة المستقرة ، خاصة أننا قد رزقنا بأول أطفالنا ، لكنه للأسف زادت حدة طبعها أكثر مما كانت عليـه حـتى أصبح الجـيـران يعـرفون عن حـيـاتنا كل شىء من صراخها المستمر وصوتها العالى ، ولم أستطع أن احتفظ بهدوىء أكثر من ذلك فانفعلت معها حين انفعلت علىَّ ذات يوم ، وصرخت فى وجهها فاشتد صـراخها فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أهوى بيدى على وجهها لأول مرة ثم ألقى عليها يمين الطلاق .

ومضت دقائق من الصمت الثقيل شعرت خلالها بأن الزمن قد توقف وبأن زوجـتى قد أصيـبت بالذهول التـام ، فانسحـبت من أمامهـا وغادرت البيت لا أعرف إلى أين سوف تأخـذنى قدماى .. وسرت فى شـوارع المدينة ساعات طويلة أفكر فيـما جرى وفيـما صنعت بحيـاتى .. واتصلت بصديق لى لأشركه مـعى فى أمرى ، فـإذا به يبلغنى بأن زوجتى تبـحث عنى فى كل مكان ووجـدتنى أرجع إلى البيت مرة أخـرى ، فما أن دخلته حـتى وجدت زوجتى ترتمى على صـدرى ودموعـهـا تهطل فى صـمت وتطلب منى ألا

أتركها ، وتؤكد لى أنها لا تستطيع الحياة بدونى .. ووجدتنى أضمها إلى صدرى وترجع الحياة بيننا مرة أخرى .

وآمنت بأن هذه التجربة ستكون درساً قاسياً لنا معاً يستفيد به كل منا فى مستقبل أيامنا ، فلم تمض سوى أيام قليلة حتى عاد كل شىء إلى طبيعته الأولى ، وبدأ الانفعال والصراخ المستمر والصوت العالى المستفز والكلمات الجارحة بالإضافة إلى تشجيع أهلها وتحريضهم لزوجتى علىّ .

ولم تعد مشاكلنا مقصورة على ما يجرى داخل بيتنا ويسمعه الجيران رغماً عنهم من صوتها العالى ، وإنما امتدت إلى بيوت الأهل والأصدقاء .. بل وفوجئت بزوجتى ذات يوم تأتى إلىّ فى مقر عملى ويعلو صوتها المستفز وتتناثر ألفاظها الجارحة ، فلم أتمالك نفسى إزاء ما يجرى وكان الطلاق الثانى بيننا فإذا بزوجتى تنهار انهياراً كاملاً كما حدث فى التجربة الأولى ، وتنهمر الدموع من عينيها ليلاً ونهاراً ويتملكها حزن قاتل ويأس مدمر ، ولم أكن أنا بأفضل منها حالاً وأنا أرى حياتى العائلية تنهار أمام عينى على هذا النحو .. وأرى نظرات الحزن فى عينيها وفى عيون أطفالى ، فلم أتمالك نفسى أكثر من ذلك ووجدتنى أضمهم جميعاً إلى صدرى متجاوزاً عن كل ما جرى ، وترجع الحياة بينى وبين زوجتى من جديد .

واتخذت قراراً بينى وبين نفسى بألا ينطق لسانى مرة أخرى بتلك الكلمة المدمرة ـ كلمة الطلاق ـ مهما حدث وأملت أن يكون ما جرى قد أفاد كلينا بالرغم من مرارته ، فلم تمض فترة طويلة إلا ورجع الصراخ المستمر والصوت العالى المستفز من جديد .. ورحت فى كل مرة تحاول فيها زوجتى تصعيد الأمور بينى

وبينهـا إلى حـافـة الخطر أنبـهـها إلـى الهاويـة التى توشك على السقوط فيها ، وإلى أن الانفصـال الثالث إذا وقع ، فسوف يفقدنا حيـاتنا معاً إلى غيـر رجعة ، فكانت تسـتجيب للتحـذير وتتوقف ونحن على حـافة الهـاوية فى بعض الأحيـان ، وتضرب عـرض الحائط بكلامى وتحذيراتى فى أحيان أخرى .

وكان أكثر ما يثير حنقى وضيقى هو أننى كلما ازددت إصراراً على ألا نصل معاً إلى هذه الهاوية السـحيقة .. ازدادت هى وأهلها تمادياً فى الضغط على أعصابى وإثارة العديد من المشاكل المادية ، بالرغم من محاولاتى المستمرة لإرضـائها بشتى الحيل والوسـائل إلى حد أن كتبت باسـمها الشقة التى نقيم بهـا لكى تشعر بالأمان والاستقرار النفسى .

إلى أن جاءت اللحظة التى خشـيتها طويلاً وفى موجة عـاصفة من الانفعال القاتل وجدتنى انطق بالكلمـة المدمرة لثالث مرة .. فما أن نطقت بها حتى شعرت بالأرض تميد تحت أقدامى .. وبالأشياء تهـتز أمـام ناظرىَّ ثم تشحب وتـختـفى تماماً .. وخـيل إلىَّ أننى استسلم للسبـات العميق رغماً عنى ، ثم افقت بعد فـترة لا أعلمها فوجدتنى بأحد المستشفيات مصاباً بذبحة صدرية حادة ، وعرفت من الأطبـاء أن الهـجمـة كـانت شـرسة إلى حـد أن كـادت تودى بحياتى ..

وعــرفت منذ ذلك الحـين ولأول مــرة فى حــيـاتــى طريق المسـتـشفيـات وغرف الإنعـاش .. وخضعت للعـلاج لفتـرة ليست قصـيرة .. وتابعت حالتـى الصحيـة مع الأطباء وعرفت جـيداً أن حياتى الزوجية قد انتهت عند هذا الحد ، لكن زوجتى بعد فترة من الحـزن الشديد التى بـلغت بها حـد الذهول ، بدأت تتـصل بى من

جـديد وتحاول إقناعى بضـرورة أن نذهب مـعاً إلى كـبار رجـال الدين لنستـفتـيهم فى أمرنا ، لعلهم يـجدون لنا مخـرجاً ، وتحت ضغط إلحـاحهـا وضغط أبنائى وافقت علـى أن أطرق هذا الباب ، فاختلفت الآراء حول صحـة الطلاق الأخير ، وواصلنا السعى إلى رجال الديـن حتى وصلنا إلى أكـبر شـخصيـة دينية فـى البلاد ، فكان جواب الرجل الفاضل بالحـرف الواحد هو أنه وبعد أن سمع من كلينا لا يستطيع أن يفـرق بيننا وأن الطلاق الذى يتم فى حالة خروج المرء عن وعيه تماماً لا يقع .

فاستأنـفنا حياتنا من جديد ، ولكن بعد أن أصابهـا شرخ غائر دفع كـلاً منا لأن يشعـر بأنه يعـيش فى صمت بعـيداً عن الآخـر ويتجنبه حـتى لا تلتقى نظراتنا فتفضـح ما بداخلنا من حزن على ما آلت إليه حياتنا .

وفى هذه الفترة منذ ما يقرب من عامين تعرفت على فتاة شابة جمـيلة تتفـجر نشاطاً وحـيوية وتمارس الحـياة ببـساطة وهدوء وقدرة على العطاء المتدفق للغير ، فـوجدتنى مشدوداً إليها وأبحث فيها عـن كل ما أفتقده فى حيـاتى ، ووجدتنى أتلمس فى الحديث إليها متنفـساً لكل ما أختزنته فى داخلى مـن ألم وحزن على حياة ضاعت فى صراع ليس له معنى وحرب لا مبرر لها .

ولست بذلك أحاول التـماس العذر أو المبرر لنفـسى فى علاقة عابرة وإنما هو تعبـير واع عن حقيقة أشـعر بها ، ولأنه ليس لدى أى استعداد للانغـماس فى علاقة آثمة مع أحد لمجـرد معاناتى من حيـاة زوجية فاشـلة ، فإنى أريد أن استنيـر برأيك فى الأمر بكل وضوح .. هل أتقـدم للزواج من تلك الفتاة .. فلربما كانـت عوضاً لى عن كل ما فـات من عمرى ، أم هل أعتـبر حياتى قـدراً لا فرار

منه وأواصل الدوران فى نفس الدائرة إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا ؟!

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

قدر كبير من أسباب الشقاء الزوجى يمكن تلخيصه فى عبارة واحدة : هى المزاج الانفعالى الحاد الذى يفقد صاحبه الاتزان النفسى .. ويخرج به عن جادة الاعتدال والإنصاف لنفسه وللآخرين .

ومن أسف أن مَنْ يسيطر عليهم هذا المزاج الانفعالى الحاد يبدون فى بعض الأحيان وكأنما قد تملكتهم الشياطين فحلت فى أجسادهم وألسنتهم .. وحولتهم إلى أشخاص عدوانيين ينسون كل شيء فى لحظة .. ويعجزون عن كبح جماح اندفاعهم .. ويتخطون فى علاقتهم بالآخرين الخطوط الحمراء التى لا يأمن مَنْ يتخطاها على نفسه وكرامته عند التعامل مع الغير ، ولهذا فلقد قيل بحق إن ضبط النفس وكبح القلب من أكمل وأتم ما يبلغه الإنسان فى علاقته بالآخرين .. وكان من أكمل ما أدَّب به رب العزة سبحانه وتعالى نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. كظم الغيظ ورد النفس عن الاستجابة لنوازع الاستثارة والغضب ، والقدرة على إنصاف الآخرين من نفسه .. ولقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى الكريم ﷺ اقترض من إعرابى بعيراً فلما حل وقت الأداء جاء الرجل يطلب دينه فأغلظ على الرسول فى الطلب وغضب لذلك الصحابة الأكرمون ، وهموا بإيذائه فإذا بالهادى البشير صلوات الله وسلامه يردهم عن ذلك ويقول لهم : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ، أى منطقاً وحجة ثم يأمرهم بأن يؤدوا

إليـه دينه ويخص الفاروق عـمـر رضوان الله عليـه وقد كـان شديد الغـيرة على نبـيه ، بعتـابه فيقـول له ما مـعناه : كان جديراً بك يا عـمر أن تأمره بحُسن الطلب وأن تأمـرنى بحسن الأداء !

وكـارثة العلاقـات الإنسـانية فـى مجـملهـا .. والعلاقـات الزوجيـة على نحو خاص هى فى اعتـقاد كل طرف من طرفى الجـدال أنه يحـتكر الحـق وحـده وأن مـا يراه هو الحق الذى لا يأتيه البـاطل من يمينه أو شماله ، ومـا يراه الطرف الآخر هو الباطل الذى لا يأتيه الحق من خلفه أو من أمامه .

وكمـا قال العراف الأعـمى لملك طيبة كـريون فى مسرحـية «انتيـجون» للشاعر الإغـريقى سوفو كليس : مـصائب المدينة سببهـا غضبك الأعمى ! يستطيع أزواج وزوجـات كثيرون أن يقول كل منهم لشريك الحياة إن مصائب المدينة سببها غضبك الأعـمى .. وضـعف قـدرتك على ضـبط النفس وعـجـزك عن التحكم فيما يصدر عنك من أفعال وكلمات وإشارات جارحة .

والسـؤال الذى يـفـرض نفسـه فى هذا الـشـأن هو : لماذا لا يعترف البعض منا بأن حدة المزاج والعصبية الشديدة التى تتجاوز كل الحدود مرض يمكن طلب الشفاء منه أو على الأقل التخـفيف من بعض آثاره المدمـرة بالعلاج الطبى لـدى طبيب المخ والأعصـاب أو العلاج النفسى لدى الطبيب المتـخصص ؟ ولماذا ينفر البـعض من فكرة العلاج الطبى المنـتظم لهذا المزاج النارى .

إن هناك تعبـيراً فريداً فى اللـغة الإنجليزية يعـبر عن هذا المزاج بوصف فريد هو « غليـان اللهب فى المدفأة » إشارة إلى

طقطقة قطع الخشب الصغيرة فيها حين يشتد أوار النار فتتطاير ذات اليمين وذات الشمال مهددة بالخطر مَنْ تصيبه .

ومن أسف أن هذا المزاج النارى الانفجارى يرتبط دائماً لدى من يعانونه بقصور النظر والعجز عن تقدير العواقب تقديرها السليم .. وضعف القدرة على تفادى المهالك التى يسوقون أنفسهم سوقاً إليها ، لهذا فهم يتمادون غالباً فى دفع الأمور إلى حافة الخطر ولا يعرفون أبداً متى يحسن بهم أن يتراجعوا أو يتوقفوا قبل أن تقودهم خطواتهم التالية إلى الهاوية السحيقة . وكما يخطىء بعض الأزواج فى الاعتماد على تمسك زوجاتهم بالاستقرار العائلى طلبا لمصلحة الأبناء الصغار ، فيتمادون فى الإساءة أو فى عدم التحسب لردود فعلهن ويستبعدون من حساباتهم تماماً أى تصرف مقابل يؤدى إلى انهيار الحياة الزوجية وتمزق الأبناء ، تفعل بعض الزوجات نفس الشيء ويتمادين فى الاستسلام للمزاج الانفعالى .. والميول الاكتئابية والتهلل لافتعال أسباب النكد الزوجى اعتماداً على نفس هذا الحرص على الروابط العائلية وسعادة الأبناء .

ويغيب عن الفريقين خلال كل ذلك أن تقطّع شعيرات الحبل المتين الذى يربط بين الأزواج وزوجاتهم وأسرهم وأبنائهم واحدة بعد الأخرى .. على مر السنين وتراكم الإساءات والمرارات لابد أن يؤدى فى النهاية إلى قطع هذا الحبل نفسه مهما يكن غليظاً متيناً فى البداية كما يغيب عن حسابات البعض أيضاً أن عشرة السنين وتشابك الروابط كما تكونان فى بعض الأحيان إضافة إلى قدرة هذا الحبل المشدود على

مقاومة الضغط الذى يهدده بالتـمزق ، فإنهما قد يكونان على الجانب الآخر وربما بنفس القدر عاملاً مساعداً على تآكله .. أو لا عجب فى ذلك لأن تـراكم المرارات قد يدفع أحد الطـرفين إلى التضـحية بـكل شىء طلباً للنجاة مـن الجحيم ، ولأن رصـيد السنين يعنى من ناحيـة أخرى توالى الأعوام وتغـير الأحوال وزيادة القدرة النفسية والمادية على التـغيير الذى كان يحجم عنه البعض حرصاً على الأبناء .. وعـجزاً عن تحمل تكاليفه .. فـالأبناء يكبـرون ويتـخطون المراحل الحـرجـة التى يكونون خـلالها فى أشـد الحـاجة إلـى الأسرة المسـتـقرة ولو تجـرع أطرافـها كل المرارة .. والزوج الذى يبـدأ حيـاته العائليـة فى الغالب شـاباً محدود الإمكانات المادية .. قد أصـبح قادراً على تحمل تـبعات تغـييـر حيـاته التى لم يسعـد بها وبدء حـياة أخرى ونفـس الحال بالنسـبة لبعـض الزوجات من الناحـية النفـسيـة والمادية .. فلماذا تتـجاهل الأطراف المعنيـة كل هذه المتغـيرات خـلال استـسلامـهم لحمـقهم وعـدوانيتـهم وحدة طبـاعهم واطمـئنانهم الغـافل إلى أن الشمس سـوف تطلع كل يوم من الشرق مهما فعلوا أو أساءوا ؟

لقد أخطأت فى شىء جوهرى هو اعتمادك فى اختيارك على شركية الحـياة على معيار واحد هو الجـمال الظاهر ، وعرفت بالثمن الغـالى أنه لا قيمة له إلى جانب جـمال النفس والطبع والخلق وحسن العـشرة وروح الفهم حتى لقـد كدت تهلك فى أحد انفجاراتكما العصيبة حين داهمتك الذبحة الصدرية !

والآن ، فلقـد وقع المحظور وشعـرت بالضعف تجـاه فتـاة شابة جميلة تتفجر نشاطاً وحـيوية وتعيش حياتها ببساطة

وقدرة على العطاء المتدفق كما تصفها . وتسألنى : هل تقدم على الزواج منها أم تواصل الدوران فى حلقة حياتك المفرغة إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً ..

وجوابى على سؤالك هو أنك رجل فى الخمسين من العمر.. وهذه الفتاة التى تمثل لك « كالعادة » النقيض لزوجتك فى كل ما تشكو منه وتفتقده معها لابد أن عمرها يدور حول العشرينيات وبالتالى فإنك تكبرها بربع قرن أو أقل قليلاً فى أغلب الأحوال ، والمؤكد هو أن زواجك منها وإن عوضك جزئياً فى البداية عما لقيت فى حياتك الزوجية من شقاء وعناء .. فإنه لن يخلو فى الوقت نفسه من مخاطرة جسيمة وقد يهددك بمزيد من الاضطراب .. والمشاكل .. فى مواجهة زوجتك الحالية وأهلها بل وفى مواجهة أبنائك أيضاً الذين بلغوا الحلم الآن على أقل تقدير .. فضلاً عن أن حلم السعادة فى الحياة الجديدة ليس مضموناً بالضرورة .. فهل أنت مستعد لتحمل المزيد من صور الشقاق والنزاع الذى قد يصل إلى ساحات المحاكم بينك وبين زوجتك الحالية .. والمزيد من المخاطرات غير المحسوبة فى حياتك الخاصة الجديدة .. إننى التمس لك بعض العذر فى تفكيرك فى الارتباط بهذه الفتاة بل وفى الحلم بما تشتهيه النفس من السعادة المفقودة معها ، ولكن هل يحتمل العمر والصحة المزيد من الصراعات والمواجهات والنزاعات التى ستترتب على مثل هذه الخطوة المصيرية ؟

بل وهل يحتمل القلب نفسه مثل هذه الخطوة العاطفية الجريئة فى سن النضج والاحترام وحسن تقدير المسئوليات الإنسانية والعائلية ؟!.. إننى أدع لك التفكير جيداً فى هذه

التســاؤلات قبل الإقدام على أية خطوة فى أى اتجــاه .. وأقول لك فى النهاية إنه إذا كـانت رسالتك هذه قد حـملت أية إشارة ضوء بالنســبة لحيــاتك الزوجية الحاليــة فهى مرور عــامين « كاملين » على آخــر « ملحمة » جرت بينكمــا ، مما قد يوحى ببعض الأمل فى أن تكون زوجتك قـد استفادت هذه المرة وهى الأخيرة أو مــا بعد الأخيرة كـما يقولون من تجاربهــا السابقة وتعلمت بعض الشىء التحكم فى انفعالاتها .

إذن أفلا يمكن البناء على هذه الخطوة الإيجابية ، ومحاولة تصفيــة النفس من مراراتها .. ورأب الصدع أو الــشرخ الغائر الذى ترسخ بينكما ؟

إن الشاعــر الإنجليزى ت . س . اليوت يؤكد لنا أن الحــياة مكونة من سلسلة من العجــائب الصغيرة والكبــيرة وأنها فى تغير مستمر ويقول :

– تجول فى شــوارع كثيرة ثــم ارجع إلى البيت وانظر إلى كل شىء وسوف تحس بأنك تراه لأول مرة !

إشارة إلى أنه يمكن بالفـعل تجديد الحياة أو مــحاولة ذلك على الأقل بدلاً من الدوران فى حلقتها المفرغة إلى ما لا نهاية .. فهل أنت قادر على المحاولة ؟!



أنا شاب أبلغ من العمر ٣٠ عاماً ، نشأت فى أسرة متماسكة وكنت الابن الوحيد على أربع بنات ، وكانت لأختى التى تصغرنى بثلاث سنوات وهى صديقتى المقربة التى أبوح لها بأسرارى ، صديقة عزيزة تعرضت وهى طفلة لحادث مؤلم حيث صدمتها مقطورة ، فنتج عن الحادث بتر فى إحدى ذراعيها وإحدى رجليها، فحرمت وهى طفلة من اللعب والجرى وأصبحت تذهب إلى مدرستها وهى تتعثر فى أجهزتها التعويضية ، غير أن الله سبحانه وتعالى قد عوضها عن ذلك بالجمال والأخلاق وخفة الظل ، كما أنها لم تنطو على نفسها ، ولم تتشرب نفسها المرارة .. وإنما واجهت الدنيا بالابتسامة وخفة الروح فوهبها الله القبول لدى الآخرين ، وأحبها كل مَنْ تعامل معها .. ولقد كنت أتعامل معها كأخت لى ، غير أن مشاعرى تجاهها اختلفت بعد ذلك ، وبدأت أحب رؤيتها وسماع أخبارها ، ثم بدأت أشعر نحوها بالحب ..

وحاولت فى النهاية أن أقاوم هذه المشاعر وأن أنساها لكنى فشلت وصارحت أختى بها ، وأنا أتوقع أن تنهرنى أو تنفرنى من الارتباط العاطفى بصديقتها هذه بسبب ظروفها الخاصة ، ففوجئت بها سعيدة للغاية بتفكيرى في صديقتها ، وقالت لى إنها قد تمنت فى أعماقها ذلك .. وتشعر عن ثقة بأنها تبادلنى نفس هذه المشاعر ، ولكن فى صمت وبغير أن تصارح أختى بذلك .

فاطمأننت وازددت اقتراباً من هذه الفتاة حتى بدأت أمى تشعر بحبى لها وفاتحتنى فى الأمر وطلبت منى ألا أفكر فى الارتباط بها ذات يوم ، فلم أعلق بشىء لأننى لم أكن مستعداً فى ذلك الوقت للزواج من ناحية ، ولا أملك من ناحية أخرى الشجاعة على الإقدام على هذه الخطوة . ثم تحسنت أحوالى بعض الشىء وجاء الوقت المناسب للزواج . وعرضت علىَّ أمى فتاة جميلة ، فوافقت عليها اعتقاداً منى أن خطبتى لها سوف تنسينى فتاتى الأخرى . وغضبت منى أختى تضامنا مع صديقتها وقاطعتنى لفترة .. وتمت الخطبة وشهدتها فتاتى الأولى وهى تتظاهر بالتماسك والقوة وإن كنت لم أنس حتى الآن نظرتها الكسيرة لى . وحاولت بكل جهدى التواؤم مع خطيبتى والتفاهم معها ، لكنى فشلت فى ذلك فشلاً ذريعاً ، فقد كنت أقارن دائماً بينها وبين فتاتى الأولى . فأجدنى عاجزاً عن تقبلها ، وسلمت بالفشل بعد فترة .. وقمت بفسخ الخطبة لكيلا أظلمها أو أظلم نفسى ، وعدت للتفكير فى الارتباط بفتاتى السابقة من جديد واستجمعت شجاعتى ذات مرة وفاتحت أمى فى ذلك ، فصرخت فى وجهى وأقسمت أنها لن تدخل لى بيتاً إذا ارتبطت بها . وتركت أمى لنفسها وأنا آمل فى أن تغير من موقفها بعد حين ، ومضت فترة دون أن أفاتحها فى

الموضوع مرة أخرى، حتى خيّل إليها أننى قد عدلت عنه أو نسيته.

وبعد محاولة أخيرة مع أمى كررت خلالها نفس موقفها السابق .. وإن كان بحدة أقل ، تجرأت وأقدمت على خطبة فتاتى .. وحزنت أمى لذلك وتجاهلتنى .. وبعد الانتهاء من استعدادات الزواج تم الزفاف فى مسكن فتاتى القريب من مسكن أسرتى ، وسعدت بحياتى الجديدة معها ولم يكدرنى شىء سوى استمرار أمى على موقفها ، ورفضها دخول بيتى وتحذيرها لشقيقاتى من مساعدة زوجتى فى أعمال البيت ، لكنى لم أشعر على أية حال بأى نقص فى قدرات فتاتى كربة بيت وقامت بأعمال البيت على وجه مرض .. وساعدتها الأجهزة الكهربائية على ذلك .. ومضت بنا الأيام .. وأنا أحاول الحفاظ على علاقتى بأمى .. فأزورها وأقوم بكل واجباتى تجاهها .. واستجدى الكلمة الطيبة منها .. وهى كما هى لا توصد بابها دونى ولا تشعرنى فى نفس الوقت برضائها عنى ، ولا تزورنى فى بيتى .. ولا تقبل زوجتى .

ولاحظنا بعد فترة من الزواج تأخر الحمل .. فبدأنا رحلة الطواف على الأطباء .. وانتهت للأسف باكتشافى أننى غير قادر على الإنجاب .. وشعرت بالحزن الشديد وعرضت على زوجتى أن أطلقها لكى تعيش حياتها وتتزوج من آخر وتنجب أطفالاً ، فرفضت ذلك بعنف شديد وقالت لى إننى لو فعلت فلسوف أكون قد آذيتها أذى بليغاً مرتين ، الأولى حين خطبت غيرها وأنا أعلم أنها تحبنى وأنا أحبها ، والثانية حين أنفصل عنها .. وأكدت لى زوجتى أنها لن تقدر على مواصلة الحياة بدونى .. ورجتنى ألا أفكر فى هذا الأمر أبداً ..

ومنذ ذلك الحين وأنا حائر فى أمرى .. أشعر فى بعض

الأحـيان بأن من واجـبى أن أطلقـها ولسـوف تنسـانى ذات يوم وتعيش حياتها .. وأشعـر فى أحيان أخرى بأننى لا أقدر على هذا القرار ولا أريده .. فبـماذا تنصـحنى أن أفعل خـاصة أننى لا أقدر أحيـاناً على النظر فى وجهـها من الخجل ، وهل تكـتب كلمة لأمى لكى تغير موقفها من زوجتى ، وتقول لها إن الإنسان لا يعيش مع جسد بل مـع روح وكيان وأن فتاتى لم تمـنعها إعاقتـها من شىء فى حين حرمتها أنا من حقها فى الإنجاب بسبب ظروفى ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

ولماذا تعجز عـن النظر فى وجه زوجتك خجـلاً منها ؟ وما هى جريـرتك فى الحرمان من الإنجـاب سواء أكـان مؤقـتاً أم دائماً ، وهو قدر مقدور على مَنْ يمتحن به ؟

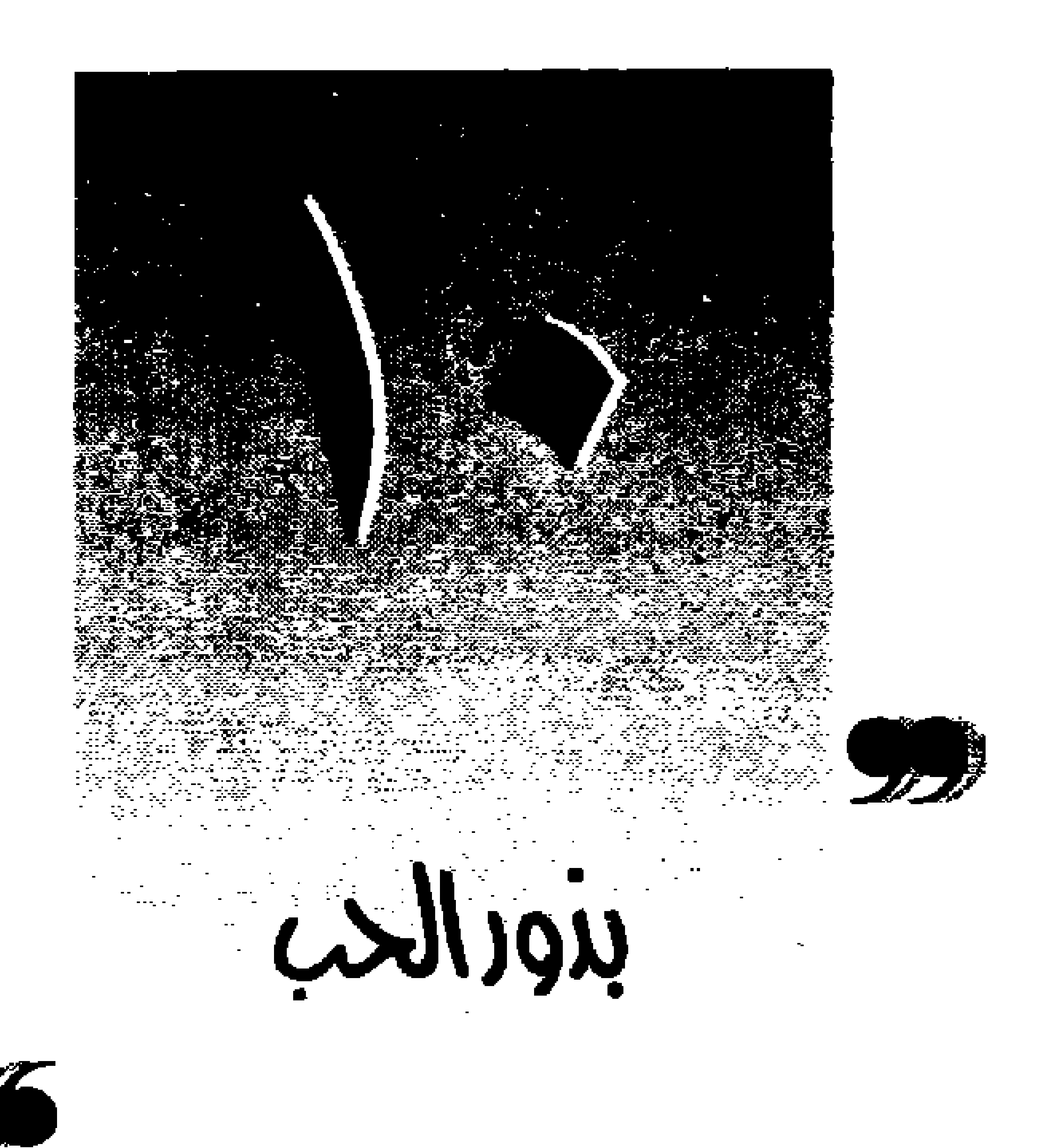
إن الإحساس بالذنب تجاه زوجتك قد يكون مفهوماً إذا كنت قد علمت بعجـزك عن الإنجاب قبل الزواج وكتمـته عنها .. أو إذا كنت قد اكتشفتـه بعد الزواج وقصرت فى طلب العلاج منه وهو ممكن ، أو إذا كنت قـد أكرهت زوجـتك على العيش مـعك رغماً عنهـا ورفضت إطلاق سراحهـا حين طلبت منك ذلك ، أو حـتى إذا كنت قـد تحـايلت على زوجـتك عـاطفيـاً وابتـززت مشاعرها ومارست عليها ما يشبه الإكراه العاطفى ، لكى تقبل باستمرار الحياة مـعك إشفاقاً عليك .. أو عجزاً عن إيلامك على عكس رغبتها الكامنة فى أعماقها فى التخلص من ارتباطها بك. وأنت لم تفـعل شيـئـاً عن ذلك .. وإنما اكتـشـفت عجـزك عن الإنجاب وقد يكون مـؤقتاً وصارحت زوجتك به وخـيرتها فى أمـرها ، فـاختـارتك بملء إرادتهـا ، ونهـتك عن التـفكيـر فى الانفصال عنها ذات يوم .

فما وجه الإحساس بالذنب أو النقص تجاهها ؟
أليست الحياة اختيارات حرة للإنسان ؟
وألم تقل أنت عن نفسك إنك عجزت فى بعض المراحل عن الإقدام على الارتباط بزوجتك هذه بسبب ظروفها الخاصة لأنك لم تكن وقتها تملك الشجاعة الكافية لذلك ، وأنه حين امتلكتها أقدمت على الزواج منها وسعدت بحياتك معها بالرغم من معارضة والدتك وإشفاق المشفقين عليك من الظروف الخاصة لزوجتك ؟
لماذا إذن تتصور أن زوجتك أقل « شجاعة نفسية » أو أقل تقديراً لجوهر الأمور منك ؟
أليس من حقها هى الأخرى أن يكون لها اختيارها الحر .. حتى لو كان ذلك فى وجه إشفاق المشفقين عليها من الحرمان من الأمومة ، كما كان الحال معك عند ارتباطك بها ؟
أو ليس أكثر الزيجات نجاحاً واستقراراً هى التى يعوض فيها كل طرف نقص الآخر ويجبر كسوره فيتكاملان معاً ويواجهان الحياة بقوة الحب والفهم والعطف والتضحية المتبادلة ؟
إن الحياة لم تتوقف عند مجرد اكتشافك لعجزك عن الإنجاب الآن .. فهى كما يقول لنا الكاتب الحكيم إريك فروم : « عملية ميلاد مستمرة وإن كانت المأساة فى حياة بعضنا هى أننا نموت قبل أن يكتمل مولدنا » أى قبل أن تشهد حياتنا العدد الكافى من الميلادات الجديدة !
فكل مرحلة من حياتنا هى ميلاد جديد لنا .. وزواج فتاتك منك واستقرارها العاطفى معك بعد اليأس منك ميلاد جديد

لها.. وحبها لك وتمسكها بك بالرغم من مسألة الإنجاب بعد الإشفاق من الانفصال عنها ميلاد آخر لك ، ولسوف تتوالى « الميلادات » فى حياتك بإذن الله وقد يكون من بينها حل مشكلة الإنجاب بعد طول الصبر والانتظار كما يحدث فى حياة كثيرين ، فلماذا لا تعطى الصباح فرصة لكى يطلع عليك بأمل جديد ولو بعد حين ، أو لكى يحمل لحياتك قيمة أخرى تعوضك عما ينقصك فيها ؟

أما والدتك ، فلن أطيل فى حديثى إليها وإنما سأقول لها فقط إننى أتفهم جيداً دوافعها الأمومية لموقفها من زواجك ، فلقد أرادت لك ككل الأمهات الأفضل والأرفع دائماً من ثمرات الحياة ، لكن السعادة يا سيدتى فى النهاية ليست بمقاييس كمال الأجسام ولا بأية معايير جسمانية أو مادية . وما دام الأبناء قد سعدوا بما اختاروه لأنفسهم حتى لو كان دون ما أردناه نحن لهم .. فلماذا لا نسعد بسعادتهم ونمنحهم مباركتنا لحياتهم لكى يعيشوا فى سلام ؟

أو ليست الأمومة عطاء من البداية إلى النهاية ؟ فلماذا إذن تحجبين عطاء عفوك عن زواج ابنك على غير إرادتك .. وعطاء أمنياتك الطيبة له ولزوجته بالسعادة والأمان فى حياتهما !



بذور الحب

لست أدرى بماذا أبدأ رسالتى ..

أنا شاب مـهندس كافح كـثيـراً حتى حـصل على بكالوريوس الهندسة ، وكنـت أظن أنه بمجرد تخرجى قـد انتهت كل مـشاكلى لكننى رأيتها قد بدأت غير أنى لن أتطرق لموضـوعات جانبية حتى لا يضيع منى الموضوع الأصلى الذى من أجله كتبت تلك الرسالة ، فأنا شـاب فى الثامنة والعشريـن من العمر من إحدى مـحافظات شمال الصعيد ، وكان لى أخ وصديق ورفيق عمر كامل ، كنا دائماً معاً منذ تفتحت أعيننا على الدنيا ، سلكنا طريقاً واحداً وكان هدفنا واحداً كـان كل منا صورة للآخـر يرى فيهـا نفسـه وكان هو ابن خالى وكان ذلك يتيح لى فرصة الذهاب له فى أى وقت صباحاً أو مـسـاء لأن كل مَنْ فى المنزل إخـوة لى لإننى تربيت ونشـأت مع أخيهم ، وشاءت الأقدار أن تحرمنى من رفيقى هذا حيث توفى فى

حادث سيارة فى أثناء عودته من عمله فى القاهرة بمدينة السادس من أكتوبر ولا تتخيل عمق الكارثة التى حلت علينا وقتها ، فلقد كان صديقى هذا أكبر إخوته وهو الأب والأخ والصديق لهم . ولصديقى هذا أخت أنهت مرحلة التعليم المتوسط ، كان أخوها هو كل شيء فى حياتها لحنانه وعطفه وبعد وقوع الحادث المؤلم شعرت بأن من واجبى أن أكون دائماً مع أسرتى الثانية هذه حيث إن وجودى بينهم يخفف عنهم الكثير وأيضاً يخفف عنى حزنى . فكل منا يحتاج للآخر ليرى فيه مفقوده . ونشأت بيننا عاطفة لم تكن موجودة من قبل . فهم ينتظروننى حتى أعود من عملى وهو نفس المكان الذى كان يعمل فيه صديقى . وأنا أيضاً أحس باللهفة على أن أراهم عند عودتى للمدينة وأجد نفسى دائماً مشغولاً بهم وبأحوالهم كما وجدت نفسى أيضاً اقترب من ابنة خالى وأخت صديقى ، فهى أكثر إنسانة كنت أرى فيها روح صديقى الذى فقدته فى لحظة وتركنى وحدى فى طريق لا أدرى ما النهاية له كما كانت تجد فىَّ أخاها ومحبته وحنانه لها .. وبالرغم من أننا كنا من قبل أخاً وأختاً ، فإننى قد وجدت أن المشاعر والعواطف قد اتخذت شكلاً آخر ، فكل منا يفكر فى الآخر ويشغل هذا التفكير حيزاً كبيراً من حياته ، ولا تظن أن اقترابنا هذا كان من منطلق السعادة فربما جمعنا بكاء عميق وشوق ولهفة على أخينا الذى فقدناه فى لحظة .

ولقد مر على وقوع الحادث ما يقرب من عام . وأصبحت الآن الشخص الذى ترى فيه هذه الفتاة حنان أخيها . كما نالت هى أيضاً من حبى نصيباً غير أن الأهل والأصدقاء بدأوا يقترحون

عليَّ الـزواج من ابنة خـالي هـذه لأنني أولى النـاس بهـا وهي وإخوتها في احتياج لأن أكون بينهم دائماً ولست أدري ماذا حدث لي وقتها ، فلقد كنت أفكـر في نوع الحب الذي أحسه تجاهها هل هو حب حقـيقي أم هو حب صنعته الظروف التي مـرت بنا ، فأنا أحبها بالفعل وأحـبهم لكني لا أشعر بأن هذا هو الحب الذي يجمع بين الرجل وشريكة حيـاته . فلقد كانت لي فتاة أحـلام في خيالي ولهـا صورة في ذهني لا أجـدها في ابنة خـالي هذه . إذن فمـاذا يكون هـذا الحب الذي يجـمع بيـننا ؟ إننـي أخـشي أن يـكون ما يجمعنا هو حب احتياج كل واحد منا للآخر ليرى فيه مفقوده . ولقـد صارحت ابنة خـالي بذلك الكلام . وقلت إن لهـا لديَّ مكانة لم تصل لها إنسـانة من قبل ، لكن هذا الحب لا أسـتطيع أن اتخذ بناء عليـه قراراً بالارتبـاط بها . وهي صارحـتني أنني بعـد وفاة أخيها أصبحت كل شيء في حياتها لما لمسته فيَّ من عطف وحنان عوضهـا عن فقد أخيـها ، وأنا الآن في حيرة شـديدة . وأخاف أن اتخـذ قـراراً بالارتبـاط بها . لأنـي لم أفكر في ذلك من قـبل ولي مواصـفات في فتـاة أحلامي مـختلفة وفي نفس الوقـت لا أستطيع الابتعـاد عنها لأن مـن واجبي أن أظل بينهم ولهـا عندي الآن مكانة كبيرة ، إنني في حيرة ، وأتمنى أن أسمع نصيحتك فماذا تقول لي ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

الحب دائمـاً تصنعـه الظروف ، فـما وجـه العـجب في أن يكون الحب الذي يجمع بينك وبين هذه الفـتاة وليداً للظروف الإنسانية الـتي قاربت بينكما وأشعـرت كلا منكما باحتـياجه إلى الآخر ؟

إن الحب ليس قراراً إرادياً يتخـذه الإنسان فى لحظة تجلٍ ، ولا هو كذلك من اختياره الحر .. وإنما هى مـشاعر تلد نفسها بنفسهـا دون تدخل إرادى من صاحبهـا أو من الطرف الآخر ، فإذا وجدت من الظروف المحيطة ما يساعد على نمو بذورها .. نمت وترعـرعت وازهرت زهورها الفـواحة .. وإذا هاجـمـتهـا الآفات والظروف المعاكسة فقد تقتلها فى أرضها ..

وكل الظروف المحيطة بك الآن صالحة لإنبات هذه البذور .. ومد جذورها فى الأرض فلمـاذا تنكص عن رعايتها وخدمـتها إلى أن تورق .. وتثمر ثمارها الطيبة بالارتباط بهذه الفتاة ؟

إن شكك فى أن تكون المشـاعر التى تجـمع بينك وبين هذه الفتـاة من أثر الظروف التى قربت بـينكما ، لا معنـى له لأنها بالفعل كذلك بغير أن ينقص ذلك من عمقها وصدقها ..

كمـا أن شكك فى أن يكون الأمر مـجرد احـتياج نـفسى من جانب كل منكما للآخر فى هـذه الظروف الإنسانية لا معنى له كذلك ، لأن الحب دائمـاً احتياج نفـسى للآخر بغض النظر عن الظروف التى أشـعلت شرارته ، ومـحك الاخـتبـار الصحـيح لعمق هـذه المشاعر وجـديتهـا فى قصـتك هو أن يستـمر هذا الاحتـياج النفـسى لكل منكما للآخـر بالرغم من بعـد الذكرى التى قاربت بينكما فى البداية .

أما حكاية مواصفات فتاة الأحلام فى خيالك التى تتعارض مع واقع شقيقـة صديقك ، فهى ليست سببـاً جاداً للتفريط فى الحب الحقيقى الذى تمثله هذه الفـتاة فى حياتك .. لأن الواقع

مخـتلف دائماً عن الخـيال ولأن هذه المواصـفات ليـست سوى صورة مثالية لفتاة لم تلتق بهـا بعد ولم تختبر قبولك لها أو قبولها لك ، ولقـد تلتقى بمن تتجسد فيهـا هذه المواصفات فلا ينبض قلبك لـها ولا ينبض قـلبهـا لك .. فلمـاذا نضـيع الحب الحقيقى من بين أيدينا جـرياً وراء « خيال » لم نلتق به بعد ، وقد لا نلتقى به ذات يوم ؟



أنا زوجة وأم لثلاثة شباب تخرجوا والحمد لله فى كليات مرموقة بعد مسيرة طويلة من الكفاح ، ابتداء بربط الأحزمة من أجل مدارس اللغات ، إلى تجميد العلاقات العائلية ، من أجل التفرغ للاهتمام بتربية وتعليم الأولاد والترفيه عنهم .

ولقد فازت ابنتى الكبرى بكل اهتمامى وحياتى وتخرجت فى كلية الطب ، واستفادت من المناخ الثقافى الذى نشأت فيه وأثرى شخصيتها أنها عملت فترة فى صعيد مصر ، فصارت بحمد الله فتاة مشرّفة بشهادة كل مَنْ عرفها .

ولقد كانت تربطنى دائماً بابنتى علاقة دافئة من المودة والمحبة والاحترام المتبادل ولم يحدث بيننا أى صدام خلال فترة المراهقة المتسمة عادة بالتمرد والانفلات العاطفى . وكم من المرات السعيدة التى صحبتها فيها للتسوق فى المحلات الراقية فكانت تأتنس برأيى . ونعود سعيدتين بمشترياتنا ، وتقدر دورى فى توجيهها

ورعايتهـا على وجه الخصوص ودورى فى حمـاية الأسرة بوجه عام ، بينـما كان الأب يعطى كـل وقته وجـهده للتـقدم فى مـجال تخصصه حتى صار والحمد لله علامة بارزة فى مجاله .

وبالطبع فقد تقدم لابنتى أكثر من شاب لطلب يدها وكنا نحترم رأيها وكنت دائماً أشجعها على حضور المؤتمرات الطبية فى مجال تخصـصها للاستنارة ، وترافـقها دعـواتى من قلب الأم أن تلتقى بنصيبها فى الوقت المناسب .

ولقد كانت فرحـة الأسرة كبيرة بفوزها بمنحـة للحصول على الماجستيـر فى إنجلترا واكتملت فرحتنا حين تقدم لخطبـتها زميل لهـا واستطعنا بـفضل الله أن نقنعـه بالانتظار سنة المنحـة إلى أن ترجع ابنتى مظفرة وبدا لـى المستقبل مـشرقاً وأنه قد آن لمسـيرة الكفاح أن تصل إلى بر الأمان .

وخلال شهور المنحة كنا على علاقة مـتينة معها، فكانت تحدثنا تليفونياً أسبوعياً ونكتب لهـا باستمرار وكأنه لا تفصل بيننا بحار ودول . ثم حـدث أن كتـبت لنا أنهـا قد فـسخـت الوعد بالخطبـة لزمـيلها فـحزنت أنا لدرجـة المرض على اندفـاعهـا فى ذلك دون مناقشة الأمـر معنا . ثم جاءت المفاجأة الكبـرى التى قلبت حياتنا وأذاقـتنا طـعم المرارة والألم حـين كـتـبت لنا عن تقـدم شـاب باكسـتانى الجنسـية ـ يدرس فى إنجلترا علوم الكـمبيـوتر ويقيم معها فى بيت الطلبة الملحق بالجامعة ـ لخطبتها ، فكتب لها والدها عن قـانون الجنسـية الـذى يجعل أولادها مـن الأجنبى يتـبعـون جنسية الأب وتطـبق عليهم وفق القانون المصرى مـعاملة الأجانب فى الإقـامـة والتـعليم ، ورحنا نحـادثهـا برفق مـراعـين ظروف وحدتهـا والغربة والدراسة ، ثم انتهت منحـتها الدراسيـة وعادت

إلينا تحمل شهادتها، فلم أكد أتعرف عليها فقد كانت شبحاً فاقدة الرغبة فى الطعام أو الحياة حتى أننى أخفيت خبر وصولها عن عائلتى إلى أن تتحسن صحتها .

وتقدم لها أكثر من شاب يطلب يدها ولكنها رفضت مقابلتهم مما وضعنا فى موقف حرج مع عائلات هؤلاء الشبان ، وأعلنت تمسكها بالاقتران بالشاب الباكستانى الذى يكبرها بعشر سنوات.. فلم أجد بدا من إعلان رفضى لتلك الزيجة صراحة إذ لا حاجة بنا للمخاطرة بابنة حباها الله بجمال الصورة ونبل الشخصية وكريم الأصل ، وكان من أسباب رفضى أن اختلاف النشأة والثقافة والتقاليد سيعجِّل بالانفصال ، كما أن اختلاف اللغة سيحول دون اندماجنا كعائلة متجانسة علاوة على أهوال ما بعد الانفصال إذا حدث فإن رحل بأولاده انفطر قلبها عليهم وإن رجعت بهم فمن أين تنفق على تعليمهم وإعاشتهم فى مصر كأجانب ، إذن فإن زواجها من ذلك الشاب سيجعلنا نفقدها إلى الأبد ونحن فى أشد الحاجة لها لكى تؤنسنا فى سن التقاعد.

وعقدنا أكثر من جلسة عائلية وقال لها أبناء وبنات عمها نحن نحبك ونفخر بك فلماذا تتركينا ففاضت عيوننا بالدموع .

ثم كانت المفاجأة أو الفجيعة الكبرى أن والدها قد أعلن رأيه فإذا به يؤيد وجهة نظر ابنته بدعوى أنها كبيرة وناضجة وأن من حقها أن تختار مَنْ تحبه وتعاشره .

وأتساءل : أى حق هذا الذى يدفع بفتاة جميلة ومثقفة للمخاطرة دون تأمين ؟ أو ليس كل حق يقابله واجب نحو النفس والتزام نحو الأسرة ، لقد انتظرت أن يتخذ الأب خطوة لتأمين المخاطرة فلم يتحرك ، انتظرت أن يطلب معلومات عن العريس

الأجنبى من وزارة الخارجية ، وأن نحصل على صورة من عقد عمله لنقدمه لأحد معارفنا المتخصصين حتى يقدر لنا موقفه .. وانتظرت أن يتصل بأحد المحامين لإعداد اتفاق مدنى يضمن حقوق ابنته التى ستخلع جذورها من وطنها فلم يفعل .

ثم طرأت فكرة أن نؤمن الطلاق مادمنا قد سلمنا بالمخاطرة بزهرة حياتنا وأرسلنا للعريس نطلب منه أن يشترى شقة للعروس فى القاهرة فأجاب بما أدمى قلبى ، أولا : وهو أنه لا يملك ثمنها ، ثانياً : إنه لا يحتاج إلى شقة فى القاهرة لأنه لن يأتى إليها أبدا .. وبالرغم من كل ذلك فمازالت ابنتى متمسكة بالزواج منه .

ولقد قاطعتنى ابنتى التى بذلت حياتى فى تربيتها وإخوتها حتى أصبحت أتسول الكلمات منها .. ولم ينهض أحد من أفراد الأسرة لتذكيرها بواجبها الأدبى والدينى تجاه أمها .

إننى أرجو أن تخاطب الأب وترجوه أن يرعى الله فى ابنته ، وألا « يرمى » بها دون تأمين وأن يقوم بتحصينها بعقد مدنى يحمى حقوقها ، فإذا كان من حق الإنسان أن يختار لنفسه، فليس من حقه بالتأكيد أن يدمى قلوب مَنْ منحوه سر الحياة .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

اتفق معك يا سيدتى فى كل هواجسك بشأن الزواج بأجنبى والمشاكل المترتبة عليه .. لكن لماذا أشعر فيما بين سطور رسالتك بتحاملك على زوجك وباتهامك الباطنى له بالمسئولية عن عدم قدرتك على إقناع ابنتك بالعدول عن هذا الزواج ؟ وهل تعتقدين حقاً أنه لو كان قد انضم إلى رأيك فى رفض هذا الزواج كانت ستعدل عنه ؟ لقد حزمت ابنتك أمرها وهى فى

منحتها الدراسية وفسخت خطبتها لزميلها وارتبطت عاطفياً بهذا الشاب الباكستاني واتفقت معه على الزواج . ولم يكن ليغير رأيها اعتراض أبيها وأمها أو موافقتهما .. فماذا يجدى إذن لوم الأب واتهامه بالتفريط فى ابنته ؟ لقد رأى أن ابنته التى يقترب عمرها فى تقديرى من الثلاثين قد عقدت إرادتها على الارتباط بهذا الشاب وأقدمت على فسخ خطبتها لغيره كخطوة ضرورية فى سبيل إتمام الارتباط ، ولن يجدى معها رفض أو قبول ، فماذا يملك هو أو غيره سوى أن يسلم لابنته الطبيبة الرشيدة بحقها فى الاختيار حتى لو كان يرى فى الأفق القريب كل المتاعب والأهوال التى ستترتب عليه ؟

لقد سلم لها بحق الاختيار راضياً أو كارهاً .

وأنت أيضاً قد اضطررت للتسليم به لكنك تريدين أن تطمئنى على مستقبل ابنتك باتخاذ الاحتياطات والإجراءات المادية التى تخفف المخاطر وتزيد من عوامل الأمان . ومن حقك أن تطالبى بذلك بالفعل ومن واجب زوجك أن ينهض للقيام بكل ما من شأنه أن يضمن لابنته حقوقها وأمان أيامها المقبلة مع هذا الزوج الأجنبى .

إن الآباء والأمهات لا يسعدون بصفة عامة بارتباط بناتهم بأزواج غرباء عن بلادهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولا يسعدون أيضاً باغتراب الأبناء غربة أبدية عنهم بمثل هذا الزواج .. لكن ماذا نملك لأبنائنا الراشدين سوى النصيحة وتبصيرهم بعواقب اختياراتهم يا سيدتى ؟

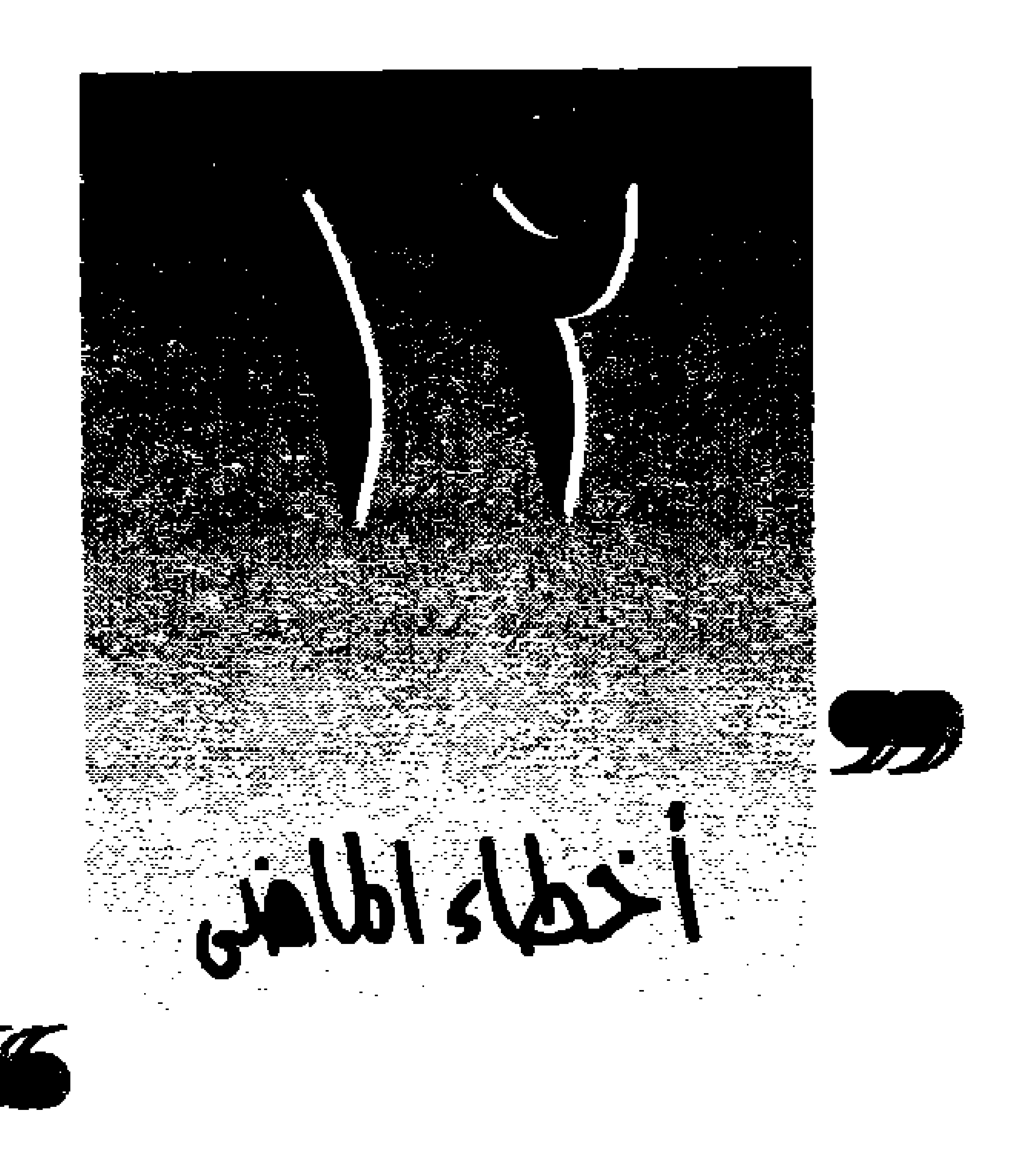
وكيف « تعاقبك » ابنتك على حبك لها وحرصك عليها وخوفك مما قد يواجهها فى قادم الأيام من مصاعب بمقاطعتك

والابتعاد عنك نفسياً وعاطفياً ؟

ولماذا لا تقدر لك دوافعك وتتقبل هواجسك ومخاوفك بشأنها كتعبير عن حبك لها وحرصك عليها .. وليس كعمل عدائي ضدها ؟ يا سيدتي لقد فعلت كل ما ينبغي لأم أن تفعله لحماية ابنتها من عواصف تراها تتجمع في الأفق وتنذر بأن تهب عليها .

وليس مطلوباً منك أن تفعلي بعد ذلك شيئاً آخر .. سوى أن تتعلقي بالأمل في رحمة الله عسى أن تخيب الأقدار كل الظنون وتجد ابنتك في اختيارها ما يحقق لها السعادة والأمان في قادم الأيام .

فهوني على نفسك ولا تضاعفي من خسائرك ، فنحن لا نملك لأبنائنا أكثر من ذلك .. ولا مفر لنا من أن نقف معهم فيما اختاروا لأنفسهم حتى لو لم نسعد به مادامت هذه إرادتهم .. وما داموا كباراً وراشدين وقادرين على تحمل تبعات اختياراتهم .. وإن كنا كآباء وأمهات سوف نتحملها بالضرورة معهم ذات يوم ، ولن يعفينا من ذلك أننا قد حذرنا طويلاً من عواقب الأمور فلم يستمع لنصحنا أحد .. والأمر لله من قبل ومن بعد .



أنا سيدة فى الخامسة والعشرين من عمرى وقارئة مستديمة لبريد الجمعة منذ أن كنت طالبة فى المرحلة الإعدادية ، وقد ترددت قبل كتابة رسالتى هذه لكنى احتاج لمشورتك ونصيحتك لى ولكل البنات ممَّنْ يواجهن نفس التجربة .

تبدأ قصتى منذ أن كنت فى السادسة عشرة من عمرى ، أى فى نهاية المرحلة الإعدادية وبداية المرحلة الثانوية فقد أعطتنى زميلة لى فى المدرسة رقم تليفون أحد الشباب للاتصال به وإبلاغه رسالة منها لأنها ـ كما قالت لى ـ تخاف من أمها إذا هى اتصلت به من بيتها ، فى الوقت الذى كانت أمى تعطينى فيه كل الثقة وتتصور أنه لو أخطأت كل بنات الدنيا ، فإنه لا يمكن أن أخطئ أو أخون ثقتها ، لأنها ربتنى على المبادىء الدينية وحفظ القرآن والصلاة بانتظام .

وبعـد تردد ونتـيـجة لقلـة الخبـرة اتصلت بهـذا الشـاب وتم التـعارف بيننا ومن خـلال الاتصال التليـفونى بدا لى فى منتـهى الأخلاق والحب الشـديد لى ، واتفقنا عـلى موعد للالتـقاء وجـها لوجـه فى طريق عـودتى من المـدرسة لـكى يرى كل منا الآخـر ، وكنت أصطحب مـعى إحـدى صديقـاتى عند رؤيتـه لكيـلا نكون وحدنا . وقد أسمعنى وقتـها كل الكلام الحلو الذى تتمناه أية فتاة فى مـثل سنى ، وبعد فـترة اكـتشـفت أمى هذه العلاقـة ، فكانت صدمـتها وصـدمة أبى الذى كان فى قـمة التـدين والحب لأسرته الصـغـيـرة هائلة ، ومنعـانى بالطبع من الاتصـال بهـذا الشـاب وأعطتنى أمى بكل ما أوتيت من قوة نصائح دينية ودنيوية وقالت إنه حتى لو تزوجك هذا الشاب فلن يثق فيك أبدا ، وكيف يثق فيك وأنت تخونين أمك وأباك ، وأثر فـىَّ ذلك كثيرا ، وفى أول فـرصة استطـعت أن أنفرد فيـها بالتليـفون بعـد مرور عـدة أشهـر قمت بالاتصال به بالرغـم من كل الحصار المضـروب حولى ، فكان فى قمة السعـادة أن عاودت الاتصال به فأنستنى حفـاوته كل ما كان من أمى وأبى ونصـائحهمـا لى ، وعن طريق إحدى زمـيلاتى فى المدرسة اتفقت على موعد للقائه ثانيـة بصحبة هذه الصديقة حتى لا تشك أمى فى شىء . لكن أمـى اكتـشفـت الأمر قـبل مـقابلتـه والحمـد لله وقامت الدنيـا ثانية وتمت مـصادرة القليل البـاقى من حريـتى وانقطع الاتصال بيننا نهـائيا إلى أن الـتحقـت بالجامـعة وهناك كـان المجال أوسع ، وقـالت لى أمى وقـتـها إنهـا تريد أن تستـرد ثقتـها فىَّ والأمان الذى انـتزعتـه من حياتـها من يوم أن عرفت هذا الشـاب فهـو أقل من مستـوانا العلمى والمادى ، وكنت

عـاهدت نفـسى ألا اتصل به ، ولكنه عـرف عن طريق صـديقـتى الكلية التى التـحقت بها وهـى إحدى كليات القـمة فى الوقت الذى التحق فيه هو بكلية عادية ، وتـخرج فى كليته بلا تفوق وجاء إلى كليـتى ، فحـدثته بما قـالته أمى وأنه لن يثق بى بـعدما كـان من مراهقتى معه ، فأكد لى أنه يثق بى أكثر من ثقته فى نفسه وكيف لا يثق بى وهو لم يلمس حتى يدى ، وتقدم لخطبتى وحاولت أمى جـاهدة منعـها وكـذلك أبى الذى قـال لماذا أقـبل به وهو أقل ممَّنْ تقدموا لى من جميع النواحى ، ولكنى اسـتطعت التأثير عليهما فى النهاية ووافق أبى بعد أن سـأل عنـه وعرف أنه يصلى فى المسجد كل الفروض وأنه مـتدين ، ولكن أمى استـمرت على رفضـها وتم زواجى منه ، فلم تمض سـوى بضعـة أشهـر وحتى ظهـر زوجى ومن أحببـته عمرى كله على حقـيقته ، فهـو سريع الغضب ودائم المعايرة لى بأنى أحبـبته من وراء أهلى ، وفى كل مناسبة سـعيدة أو تعـيسـة دائـما يقـول لى إنه يتـمنى لـو كان قـد تزوج امـرأة «شريفـة» لا تخرج من وراء أهلها لمقـابلة الشبـاب ، حتى أنه فى زفاف أخـته وأنا مـعه وبدون مناسبـة قال لى إن زوج أخـته هذا محظوظ لأنها رفضت حـتى محادثته تليفونيا إلا بعد عـقد قرانها عليه ، وهذا كـاف لكى ينام مسـتريح البال وليـفخر بهـا أمام كل الناس ، وليس بالعلم ولا المال ولا أى شىء عندى !

وقد حـاولت جاهدة أن أثبت له أنى ما فـعلت ذلك إلا لحبى له وأنه من المستـحيل أن أخونه وأنا المرأة المصليـة المحجبـة وأخاف ربى لكنه دائما يجـرح كرامتى ويقول إننى كنت أيضـا حين كنت أحدثه تليـفونيا من وراء أبى محجـبة ومصلية بل وقـارئة للقرآن

ومَنْ خانت أباها وأمها لابد يأتي يوم تخون فيه زوجها .

وحين قرأنا أنا وهو في بريد الجمعة رسالة « أبواب الجحيم » للزوج الذي روى عن خيانات زوجته المتكررة له ، فوجئت بزوجي يقول لي إنه لن يسمح بأن يجئ اليوم الذي يصبح فيه مثل هذا الرجل ، وأنه من الأفضل لنا أن نفترق الآن !

والحق أنه لم يعد يؤلمني الآن أن نفترق بعد أن لقيت منه كل أنواع الامتهان لمشاعري وكل ألوان الجرح لكرامتي ، إن لي منه طفلة عمرها عامان الآن وسوف أخذها لأربيها في بيت أمي وأعرفها في الوقت المناسب بما فعله أبوها لكيلا تثق وهي فتاة في وعود أي شاب ولا تستجيب لأي إغراء من الشباب ولا تخون ثقة أمها فيها كما فعلت أنا ودفعت الثمن من كرامتي وسعادتي .

إن زوجي رجل متدين ويخاف ربه ويؤدي كل الفرائض على أكمل وجه ويقول لي إنه لولا هذه « الغلطة » لكنت زوجة مثالية .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .. لكني أرجو أن تكون قصتي هذه عبرة لكل فتاة تخون أباها وأمها فتقدم على التعرف على أي شاب من وراء ظهريهما والسلام .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ولماذا يجلدك زوجك بهذه « الغلطة » وحدك ويحملك المسئولية عنها ويعفي نفسه من نصيبه الأكبر منها ؟! ولماذا يتجاهل مسئوليته عن إغواء فتاة صغيرة بالكلام المعسول الحلو .. والوعود الكاذبة بأن يثق فيها بعد الزواج ويحنو عليها ويحفظ عليها كرامتها ويسعد بها ويسعدها ؟ وأين ثقته في نفسه أولا ثم في أخلاقياتك وحبك له ووفائك لعهده؟

هل يرى نفسه أدنى من أن يحظى بإخلاص زوجة محبة تقصر طرفها عليه وحده ولا ترى بين رجال الدنيا كلها سواه؟

وما هى « أدلته » على هذا الشك القاتل فى وفائك له وقيمك الاخلاقية والدينية حتى لو كنت قد تجاوزت معه فى مراهقتك وارتبطت به فى الخفاء ؟ ولماذا لم يلتمس لك العذر فيما فعلت بصغر سنك وقتها وبحبك له .. وبإغوائك هو شخصيا لك ؟

إن جلد الآخرين بهفواتهم السابقة نوع من السادية والتلذذ بإيلام الغير لا يليقان بمَنْ نشأ فى طاعة الله ويرعى حدود ربه ويحرص على أداء فرائضه كزوجك ، ونصيحتى له هى ألا يبدد رصيده لديك من الحب بمثل هذه الروح السادية اللائمة لك على الدوام ، وبأن يستعيد ثقته بنفسه وجدارته بوفائك له وبقيمك الأخلاقية والدينية .. وأن يعرف كذلك أن أخطاء الماضى خاصة إذا كانت من قبيل طيش المراهقة الذى لم يوغل فى المعصية ، ليست دائما دليلا على الحاضر ، ولا مؤشرا للمستقبل ، فالإنسان يتعلم من أخطائه ويكتسب النضج والفهم الأفضل للحياة مع مرور الأعوام ولو حوكم كل إنسان بأخطاء صباه ومراهقته لما نجا أحد غالبا من الإدانة والشك فى قيمه وأخلاقياته لكن رحمة ربك أوسع وأرفق بالبشر من بعضهم بالبعض ، و « لله أفرح بتوبة عبده الخاطئ من أحدكم يجد ضالته فى الفلاة » كما جاء فى الحديث القدسى .

ومادام زوجك متدينا ويعرف حدود ربه فلابد أن يكون قد

قرأ ما روى عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين جاءه رجل فقال له : يارسول الله إنى لقيت امرأة فى البستان فضممتها إلى وقبلتها وفعلت كل شىء ، غير أننى لم أفعل بها، فسكت الرسول الكريم ساعة ثم نزلت الآية الكريمة :
﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ(١١٤) ﴾ [هود]

فدعا الرسول الرجل وقرأها عليه وكان العظيم عمر رضى الله عنه بين الحضور فسأله : « أله خاصة أم للناس عامة »؟» فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه : « بل للناس عامة » .

وإقامة الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل تعنى هنا كما قال المفسرون كثرة الاستغفار والتوبة الصحيحة عن الخطأ والندم الشديد عليه وعدم الرجوع إليه أبدا .

ولا عجب فى ذلك .. والله سبحانه وتعالى يغفر ولا يعير ، وبعض الناس يعيرون ولا يغفرون . فكيف يرضى زوجك لنفسه بأن يكون واحدا منهم ؟

إننى أشكرك على رسالتك هذه وأشاركك دروسها المستفادة وأضعها تحت أنظار مَنْ تتوجهين بها إليهن والسلام .



أنا رجل أبلغ من العمر ٥٨ عاماً مسيحى الديانة أعمل فى مدينة تبعد عن الإسكندرية بـ ٥٥ كيلومتراً ، فقد عملت طبيباً بالمستشفى وفتحت عيادة بالمدينة منذ ٣٨ عاماً ، وعشت فى بداية حياتى عشر سنوات بغير زواج لأننى لم ألتق بشريكة الحياة المناسبة إلى أن بلغ عمرى ٣٠ عاماً ، فتزوجت من طبيبة قريبة لى وجدت فيها مطلبى ورزقنا الله ابنتين وولداً وأنعم الله علينا بالرزق والسعادة ، وكان شرطى الوحيد عليها قبل الخطبة والزواج وطوال مرحلة الزواج هو أننى العبد المأمور لكل مطالبك إلا أن تقيمى بالإسكندرية وأبقى أنا وحيداً بتلك المدينة .. وقبلت الشرط وعشنا حياتنا فى سلام . وتخرجت الابنتان وتزوجتا ورزقهما الله بأحفاد لنا ـ والتحق الابن بكلية عملية وقمت بواجبى كاملاً تجاه أسرتى وكنا نعيش كأسرة متحابة متآلفة تعد قدوة تقتدى بها كل الأسر فى المدينة وذات يوم منذ عامين قالت لى زوجتى : باكر

سـأذهب إلى الإسكندرية ولا أعـود إلى هذه المدينة مرة أخـرى .. ولم أصدق وعـيدها فى البداية ، لكنـى فوجئت بهـا تذهب بالفعل إلى الإسكندرية وتنفذ كل ما قالته بالحرف ـ فسحبت الأموال من البنوك وعرضت العقارات التى باسمها للبيع وسممت أفكار الأبناء عنى وقـاطعونى كلهم الأم والأبـناء .. تركونى وحـدى فى المدينة التى أقيم بها . عرضت أن أقـيم معهم بالإسكندرية فى البيت الذى بنيتـه للأسرة ، فرفـضت ذلك وإذا طلبتـها فى التليفـون وضعت السمـاعة فى صـمت وحشدت كل الأقـارب والأصدقـاء والمعارف ضدى ، وطالبت بمقاطعتـهم لى ونقلت عملها للإسكندرية دون أن أدرى أين تعمل ولا أين تذهب طوال عامـين ـ وتدخل جميع رجال الدين من مسيـحيين ومسلمين وتدخل نائـب البابا وتدخل العديد من الشـيوخ الأفاضـل من أصدقائـى فرفضت رفـضاً باتاً ، إنـها تصـغرنى بأربعـة أعوام لكنهـا تبدو فى سن الـ ٣٤ عـاماً شـابة جـميلة أكـثر مما كـانت قـبل الزواج ، ماذا أفـعل وماذا حـدث ؟! لا أدرى كيف أتصـرف بعد أن صرنا حـديث الإسكندرية والمدينة الصغيرة؟!

إننى لم أبت ليلة غاضـباً منها وكانت هى كل شىء فـى حياتى وهى المتصرفة فى كل شىء وقد كونتُ ثـروة طائلة كتبت معظمها باسمها وفى زواج البنات تقـدم لهن كثيرون ، فكانت ترفض الكل وكنت أقبل وهذا هو السبب الوحيد الذى أحدث خلافاً بينى وبينها حوله حيث كنت خـائفاً على مستقبل البنات وهى مـغرورة ببناتها فـماذا حـدث بعد ذلـك .. ولماذا هذا الانقلاب المفـاجىء ؟! لا أدرى إننى الآن وحـيد ، شـريد ، طريد بعـد كل هذا العمـر وإحسـاسى بالظلم والجـحود رهيـب ، وقد تقـدمت إلى البطريركـية شـاكيـاً

وحاول آباؤها ولم يقدروا على شيء .. فهي ترفض لقاء أي لجنة.. وتقدمت للقضاء وحددوا جلسة وفعلت هذا لإرهابها من الطلاق ولكن لا اهتمام أو اكتراث من جانبها ولو طلقت زوجتي فسوف أعيش أيامي في بؤس أكثر لأني الآن أعيش على أمل أن تعود لي بتدخل من الله القوي العزيز على أمل أن يتدخل رب السماء والأرض ويحول قلبها إليّ مرة أخرى .. حيث كانت حياتي معها ملؤها الحب ، وأنا في حالة هيام بها للآن بالرغم من كل مافعلته بي وهي قلبها حجر صوان ـ وأعيش الآن على أمل تدخل الله ولكن طالت المدة وأغلق الله دوني المنافذ .. ماذا أفعل وأنا أعاني معاناة لم يعانها أيوب عليه السلام ، فأنا إنسان ملتزم في كل جوانب الحياة وعشت حياة الطهارة والعفاف والعمل والنجاح وكانت ترى طوال عمرها أني لا أقارن بإنسان آخر وكنت أشعر بأنها كانت تحبني حباً كبيراً وما زلت أحبها ، بالرغم من كراهيتها الشديدة لي الآن ، لماذا لا أعرف وأريد أن أعرف إذ لا بد أن هناك فصلاً خفياً لا أعرفه وأريد أن أعرفه لكني عاجز عن فهم أي شيء وكذلك كل مَنْ حولي فهل من تفسير ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

الانقلابات المفاجئة في المشاعر والأحاسيس تبدأ عادة بتحولات بطيئة تستغرق وقتاً طويلاً من الزمن وتتراكم خلاله ذرات الجليد بين الطرفين حتى تتحول مع مرور الأيام إلى كتلة صلدة يصعب تحطيمها ـ فإذا كان هناك وجود لعنصر «المفاجأة» في أية قصة شبيهة.. فهو فقط في لحظة الاصطدام برأس جبل الجليد الذي يبدو صغيراً فوق الماء .. فإذا اصطدمت به السفينة اكتشفت لذهول قبطانها أن تحتها

جبلاً هائلاً تحت الماء كفيل بتحطيم أية باخرة .

وهذا هو ما يحدث للأسف في بعض الزيجات ، حيث تتجمع المرارات ببطء في نفس أحد الطرفين أو كليهما على مدى الرحلة .. وبدلا من إذابتها أولاً بأول بالمناقشة والحوار والرغبة الصادقة في الاستمرار وتجاوز العقبات.. قد يفضل أحد الطرفين «تأجيل» المشاكل والانتظار إلى أن يأتي الوقت الملائم من وجهة نظره ، ثم يطلق « مفاجأته» ويفجر القنبلة الموقوتة التي اختزنها طوال السنين .

وأحسب أن هذا هو ما حدث للأسف في حياتك العائلية .. بالرغم من هدوئها الظاهري ورايات السعادة التي خلت أنها ترفرف عليها ، وأياً كانت الظروف والأحوال فلاشكَ في أن زوجتك مطالبة أمامك وأمام أبنائها والأهل بأن تفسر لك على الأقل أسباب هجرها المفاجيء لك وأسباب رفضها لكل محاولات الإصلاح بينكما ، وإعادة جمع شمل الأسرة لأنه حتى المحكوم عليه بالإعدام تُشرح له حيثيات الحكم وأسباب القضاء عليه بالموت ، أما أن تصدر زوجتك حكمها القاسي عليك بالإعدام المعنوي ، وتحشد الأبناء والأهل ضدك وتطالب الجميع بمقاطعتك دون سماع دفاعك عن نفسك .. ودون مواجهتك «بجريمتك» إذا كانت هناك جريمة ، فليس ذلك من العدل ولا من الرحمة ولا من الوفاء لعشرة السنين الطويلة في شيء . إن أقصر الطرق للتفاهم هو الطريق المباشر .. فكيف عجزت خلال عامين عن الالتقاء بزوجتك مرة واحدة لتسألها عن أسباب تحولها عنك وهجرها لك .. وكيف عجزت عن «إبلاغها» بأنك مازلت تهيم بها حباً كما تقول حتى لو

كانت هى قد تحولت إلى كراهيتك واستعداء الآخرين عليك .

وهل تكفى الرغبة فى مغادرة المدينة الصغيرة التى كانت تعيش بها والانتقال للإقامة بالإسكندرية لهدم حياة زوجية كانت مستقرة ولو ظاهرياً ؟

ولماذا لم تقنعك بأن أسباب الاغتراب فى هذه المدينة والكفاح لبناء الحياة وصنع الثروة قد انقضت الآن ولم يعد هناك ما يبرر الاستمرار بها .. وأنه من الأفضل لك ولها وللأسرة أن تستمتعوا جميعاً بجنى ثمار الكفاح الطويل.. والحياة حيث تطيب لكم الحياة ؟ ولماذا لم تستجب أنت من البداية لهذا المطلب مادام قد أصبح ضرورياً وملحاً بالنسبة لها إلى هذا الحد ؟

وهل يستحق شىء فى الحياة أن يفقد الإنسان من أجله سعادته واستقرار حياته وهناء أسرته ؟

لاشك أنها محنة مؤلمة أن يفقد المرء زوجته وأبناءه وأن يجد نفسه وحيداً ممروراً فى هذه المرحلة من العمر بدلاً من أن يستمتع بثمار كفاحه بين أسرته وأبنائه .

لكن ماذا نفعل يا سيدى فى تحولات القلوب .. وما سمى القلب ـ كما يقول بعض الصوفية ـ إلا لتقلبه .. وما سمى الإنسان إلا لنسيه ؟

إننى أرجو أن تجد حلاً كريماً لهذه المشكلة المستعصية وأن يعود الأمان والاستقرار لحياتك من جديد ولو تطلب الأمر منك ومن زوجتك أن يتنازل كل منكما عن بعض تعنته ومطالبه .. فهل يتحقق ذلك حقاً ؟!



الجبل القوى !

أكتب إليـك رسالتى هذه بيد مـرتعشــة لكنى أحس بالرغم من ذلك بالراحة لكتابتى لك ، فأنا سيدة فى الخـامسة والخمسين من عـمرى .. أعـمل أو كنت أعمل قـبل تسـوية معـاشى المبكر ناظرة بالتـربية والتعـليم وزوجى وهو قريب لى كـان مديرا لفـرع أحد البنوك الكـبـرى وقـد أنجـبنا ولـدين وبنتـاً ، وكـانـت البنت هى الصغرى ، وبعـد إنجابى لها بعام جاءتنى فرصــة للإعارة بإحدى الدول العربية ، وبالرغم من أن أحوالـنا المادية كانت جيدة إلا أننى قبلت الإعـارة وسافرت مع زوجى وتركنـا الأبناء وهم أطفال فى رعاية أمى وأختى ، وبعـد سفرنا بعامـين تزوجت أختى وغادرت البـيت وساءت صـحة أمى فلم تسـتطع رعـاية أطفالى وحـدها .. واضطررت للرجـوع وحـدى لرعـايتـهم وبـقى زوجى فى الدولة العربية عامين آخرين .

وبعد عودتى ببضعـة أشهر رحلت أمى عن الحياة .. وواصلت

حياتى وعملى ورعايتى لأسرتى .. وكنت دائماً المرأة القوية المسيطرة على كل شىء فى الأسرة ، فأنا صاحبة الرأى والمشورة.. وزوجى يترك لى كل شىء لأنه يرجع من عمله مرهقاً ولا يريد أن يزعج نفسه بهموم الأبناء ، وحتى حين كان الأبناء يلجأون إليه للحكم بينى وبينهم فى أمر يحتجون عليه، فقد كان ينحاز دائماً إلى رأيى مهما يكن تطرفه .. ولا شك فى أننى كنت بسبب قوة شخصيتى وطبيعتى قاسية بعض الشىء على الأبناء ، كما كنت أكثر حزماً وشدة مع ابنتى الوحيدة حيث لم يكن يعجبنى منها أنها رقيقة جداً وحساسة للغاية ولا تستطيع المواجهة مع صديقاتها أو أخويها . وكنت أريدها صورة منى كالجبل القوى لكن ذلك لم يتحقق للأسف .. وكانت هى جميلة ومهذبة وتخشانى وتنفذ ما أقوله لها حرفياً ، وبعد اجتيازها لامتحان الثانوية العامة تقدم إليها ابن إحدى زميلاتى وتمت خطبتها إليه ، وأحبت ابنتى خطيبها بشدة وتعلقت به لأنه كان أول رجل فى حياتها ولم تعرف قبله أى نوع من العلاقات مع الجنس الآخر ، لكنى انقلبت عليه بعد فترة من الخطبة لأنه لم يخضع لإرادتى ورفض أن يسير على هواى فى كل شىء ، وقد تعمدت أن اشترط عليه أشياء معينة فى الشقة والأثاث والديكور ، وافتعلت ذلك افتعالا لكى أفرض كلمتى عليه من البداية ، كما هو الحال مع أبنائى ، لكنه تذمر .. ورفض .. فأنهيت الخطبة دون النظر إلى رغبة ابنتى فيه وتعلقها به .. وحين حاولت هى أن تعترض على ذلك ثرت فى وجهها ثورة هائلة ألجمت لسانها وجعلتها تنظر إلىَّ ذاهلة ولا تجرؤ على الكلام .

وانتهت هذه الخطبة وبعد ثلاث سنوات أخرى تقدم إليها شاب

آخر ميسور الحال وجاهز فلم يرفض لى طلباً .. واستجاب لكل ما أردته ولم نهتم نحن بالسؤال جيداً عنه لأننى قد رأيته فرصة ممتازة لابنتى وألح أهله على عقد القران فاستجبنا لرغبتهم .. وبعد ذلك اكتشفنا للأسف أنه مدمن للسموم البيضاء ولا أمل فى إصلاحه .. واستطعنا بعد جهد كبير ومشاكل عديدة الحصول على الطلاق منه ولكن بعد أن تحطم قلب ابنتى للمرة الثانية .

وبعد عامين آخرين كانت ابنتى قد تخرجت فى كليتها وعملت فتقدم لها أحد أقاربنا .. وبالرغم من أنه كان أقل منا فى المستوى الاجتماعى والمادى وأقل من ابنتى فى المستوى التعليمى إلا أننى قد وافقت عليه وشعرت بأنه يمكن السيطرة عليه وعلى أهله ولن يجرؤ أن يرفع عينه أمامنا .. ومن ناحية أخرى، فقد كانت ابنتى مخطوبة مرة ومطلقة مرة أخرى فقدرت أن هذه الفرصة قد تكون الأخيرة لها ، وهكذا وافقت عليه ، وقبلت به ابنتى كالعادة باستسلام وتمت الخطبة ، وبعد ٤ أشهر منها فوجئت بابنتى ترفض خطيبها وترفض مواصلة المشوار معه .. وتطلب فسخ الخطبة ، ولم نهتم برفضها ولا اعتراضها وعجلنا بعقد القران لكيلا ترجع إلى هذا الحديث مرة أخرى ، لكنها لم تسكت هذه المرة ورفضت عريسها مرة ثانية وطلبت إنهاء الارتباط فجن جنونى .. هل يمكن أن تصبح ابنتى مطلقة مرتين قبل الزفاف ؟ إن هذا لن يحدث أبدا وأنا على قيد الحياة، فزمجرت فى وجهها وسألتها : لماذا ترفضه ؟! فقالت بعد تردد أنها حاولت أن تتقرب منه لكنها وجدت شخصيته ضعيفة جداً .. ومستواه الثقافى ضحلاً وعاداته وتقاليده تختلف عن عاداتها .. وشعرتُ بأنه مكسور أمامها ولا يستطيع أن يعارضها فى أى شىء لإحساسه بأنها أفضل منه

وهى لا تريد ذلك ، ولا تريد أن تكـون صورة أخـرى منى ، وإنما تريد رجلاً يحتويهـا ويشعرها بأنه الرجل وهى المرأة .. ولم أهتم كـثيـراً بما قالت وقلت إنه دلـع بنات لا معنى له ، وأصـررت على استكمال المـشوار ، فإذا سألتنى : وأين كان والدهـا وأخواتها من ذلك؟! قلت لك إن والدها كـان كعادتـه يساندنى فى كل مـا أفعل ، أما أخواها فقد حـاولا مناقشتى فى الأمر «فبهدلتهـما» وهددتهما بأنى سـوف أغضب عليـهمـا ، كمـا أنى لن أساعـدهما مـادياً فى حياتهما إن لم يقفا إلى جوارى فأتخذا موقف الحياد .

وهكذا واصلت الضغط على ابنـتى التى أذهلنى أن تقول لى لا لأول مرة فى حـياتها ، وحاربتـها بكل الوسائل من سـيف غضب الوالدين إلى سيف تهـديدها بمقاطعتها إلى آخـر يوم من عمرى .. وكلما حاولت إقناعى بوجهـة نظرها لم أسمع لها وأواصل الحرب ضـدها .. حتى لقـد اسـتشـهدتُ بما ينـشر فى بابك من قـصص وبآرائك فيها لكن هيهات أن اسمع لها فقد صممتُ أذنى وقاطعتها مقاطعة تامة وقاطعها بالتبعية كل مَنْ فى البيت واجتنبناها جميعاً فأصبحنا لا نحدثها ولا نأكل معها .. ولا نحييها ولا نردد تحيتها. فضاقت بحـياتها وحاولت أن تسـتأذننى فى أن تقيم عند خـالتها بضعة أيام لكى تسـتريح أعصابها ، فرفضنا ذلـك وأنذرنا خالتها ألا تستقـبلها وإلا .. ! واستمـر الحال على هذا النحو شـهـراً ثقيلاً صارحـت هى خلاله خطيـبهـا بأنها لا تحـبه ولا تريد أن تظلـمه معـها.. فلم يغـير ذلك من تمسكه بهـا ، وقال لهـا إن الحب سوف يأتى بعد الزواج .. فـانهارت مقاومتـها وقالت لى بعيـون دامعة : افعلوا ما تريدون .. ففرحت بذلك وبدأت استـعد لزفافها .. وخلال فترة الاسـتعداد كنت لا أراها إلا دامـعة العين .. فلما نهـرتها عن

البكاء ونحن فى فـتـرة فرح كـفت عن ذلك وأصـبـحت تنظر إلىّ نظرات غريبـة كأنهـا نظرات استـجداء للرحمـة .. لكنى لم أتوقف أمامها ومضيت فى الاستعداد للزفاف بهمة ، وفى يوم الحفل بدت لى ابنتى كـالمخدرة .. كمـا كان حـالها منذ استـسلمت لإرادتى .. وبعد الزفـاف لم يتغـير حالـها .. فهى تفـعل كل شىء ببطء وبلا روح ولا حـماس .. وصـمـتهـا أكـثر من كـلامـهـا .. وتغتـصب الابتسامة اغتـصاباً لكى ترحب بنا حين نزورها .. وتأتى لزيارتنا واجمة ولا تكـاد تتحدث مع أحد وترجع إلى بيـتها صامـتة كأنما تؤدى واجـبـاً لا مفـر من أدائه ، ولا شىء مـن ابتهـاج العـروس وفرحتـها بحياتها الجـديدة يبدو عليها .. واستـمر الحال على هذا النحو عـدة أسابيع ثم وقـعت الكارثة الكبرى .. وسـقطت الزهرة الجميلة عن فرعهـا .. وحدث كل شىء فى لمح البرق وخلال ثلاثة أيام لا تزيد .. فقد سـقطت ابنتى الشابة الجميلة العـروس مصابة بجلطة فـى المخ .. ومن بيـتـهـا نقلت إلى العـناية المركـزة بأحـد المستـشفيات وقـبل أن نستوعب مـا حدث كانت روحـها الطاهرة البريـئة قد صـعدت إلى ربهـا .. وخرجت من العناية المـركزة إلى مثواها الأخير :

فهل تصدق ذلك يا سيدى ؟

لقد ماتت ابنتى .. قضت عليها أحزانها ، انفجرت لأننى لم أتـح لها أن تـفضفض عـما بداخلهـا وقهـرتها .. وقـتلتهـا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولن أصف لك ما حـدث لى ولوالدها وأخويها .. ولا ما نشـعر به من تأنيب الضمير .

لقـد اعتـزلنا الناس والحـيـاة ولولا خـشيـة الله لإقـدمنا على

الانتحار ، وخرج زوجى إلى المعاش .. وخرجت أنا إلى المعاش المبكر ، وبالرغم من مرور نحو عامين على هذه المصيبة، فإننى أتذكر تفاصيل كل ما حدث كل يوم وكأنه شريط سينمائى .

وإننى أكتب لك هذه الرسالة من شقتنا بالمعمورة بالإسكندرية حيث نقضى معظم شهور السنة لنكون بعيدين عن الأصدقاء والجيران ، ولأن ابنتى كانت تحب هذه الشقة لكى أروى لك قصتى أو مأساتى التى صدمتنى وأنا الجبل القوى لتكون تكفيراً عن شىء من ذنبى ولكى أناشد كل الآباء والأمهات ألا تتحجر قلوبهم أمام رغبات الأبناء إذا كانت عادلة ومشروعة ، ولكى يتيحوا لهم الفرصة لأن يقولوا آراءهم ويعبروا عن أنفسهم ورغباتهم بحرية ، فالتقاليد ليست قرآناً ينبغى الالتزام بها دون مناقشة .. ولكى أقول لكل أب وكل أم أيضاً : ما أفظع الندم .. فأنا وزوجى نموت كل يوم ولولا ابنانا وزوجتاهما لمتنا جوعاً من فقد الشهية ، ولقد أديت فريضة الحج أنا وزوجى فى العام الماضى ومازلت أشعر بأن ذنوب الأرض كلها فوق كاهلى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من المحزن حقاً أننا لا نستخدم عادة أسلحتنا المعنوية فى التهديد بغضب الأبوين لإخضاع الأبناء لإرادتنا إلا مع الطيبين منهم ، الذين يخشون الله واليوم الآخر ويجفلون من إغضاب الأبوين ولو أرغماهم على ما لا يريدونه لأنفسهم ، أما الأبناء المتمردون البعيدون عن تعاليم السماء فلا تفلح معهم نفس هذه الأسلحة المعنوية ولا يتأثرون بها ولا يحفلون بإغضاب الأبوين ولا عقاب السماء ، فيمضون إلى ما يريدون

بلا توقف أمام رضـاء الآباء والأمهات أو غضبـهم ، فهل يكون جـزاء الأبناء الطـيـبـين المسـالمين ذوى الـوجـدان الدينى أن نقـهرهم على مـا يكرهون لأنفـسهم وأن نحـرمـهم من حقـهم الطبـيعى فـى الاختـيار لحـيـاتهم بعد أن بـلغوا سن الرشـد وامتلكوا زمام أمورهم ! وهل يكون عدلا أن نفرض عليهم نحن تحت وطأة النبـذ والمقاطعة والتـهديد بالغـضب الإلهى ، ما لا يرون فيها سعادتهم ، ونحرمهم من حقهم العادل فى المراجعة والمناقشـة والتعـبير الحـر عن النفس فيمـا يتعلق بحـياتهم الشخصية وأحلامهم لأنفسهم ؟

أوليست مفارقة تستـحق منا التأمل والتوقف طويلاً أمامها ألا يفلح ضغطنا الـقاسى على الأبناء فى تحقـيق هدفه إلا مع الحريصين منهم على روابطهم بآبائهم وأمـهاتهم .. وقد كانوا يستحـقون جزاء وفاقاً لأخـلاقياتهم وقيمـهم الدينية أن نكون أكثر رفقاً بهم وعطفاً عليهم ؟

لقد تعجبت كثيراً يا سيدتى لفهمك الغريب لطبيعة العلاقة بين الأم والأبناء وكيف ينبـغى لها أن تقوم من وجـهة نظرك على الخضوع التـام من جانب الأبناء الراشدين لإرادة الأم فى حياتهم الشخصية واختياراتهم المصيرية .

وتعجـبت كذلك لمفـهومك الآخر عن العـلاقة بين الأصـهار وتصورك أنها يجب أن تقوم على الاستعلاء وإملاء الإرادة من جانب والـضعف والانكسار والإحـساس بالنقص مـن الجانب الآخر كمـا عبر عن ذلك اختيـارك لزوج ابنتك على أساس أنه أدنى مـادياً واجتمـاعيـاً من أسرتك وتـعليمـياً من عـروسه ، وبالتـالى فلن «يجرؤ على رفع عـينه أمامكم» وكـأن المطلوب

فيه أن يكون تابعاً ذليلاً لابنتك وأسرتها وليس زوجاً وشريكاً وحامياً لزوجته وصهراً مكافئاً محترماً لأسرتها .

والمشكلة في تصوري هي أنك قد اعتدت فرض إرادتك على مَنْ هم حولك .. واستشعرت في نفسك دائماً القوة التي تتيح لك فرض سيطرتك على أفراد أسرتك وإملاء رغباتك عليهم .. فأردت ألا يخرج عضو الأسرة الجديد عن نطاق هذه السيطرة، واسترحت لقابليته للخضوع والانكسار أمام إرادتك .

لكن المؤسف حقاً هو أنك لم تتوقفي لحظة واحدة لكي تسألي نفسك : وهل ستسعد ابنتك بمثل هذا الشريك أم ستشقى به ؟ وهل هي ترغب حقاً في أن تكرر « مثالك » القوي في علاقتك بزوجك وأبنائك أم ترى سعادتها في نموذج آخر أكثر صحة للعلاقة مع الزوج والأبناء ؟ فكانت النتيجة أن واصلت للأسف الاختيار لها واتخاذ القرارات نيابة عنها وبغض النظر عن رغباتها الحقيقية وأحلامها لنفسها ، ومارست ذلك ابتداء من الخطبة الأولى التي هدمتها بالرغم من تعلق ابنتك بخطيبها لتمرده على إرادتك إلى الاختيار الأخير لها بالرغم من نفورها منه .

وواصلت الضغط القاسي عليها حتى قبلت بالارتباط بمَنْ ترفضه في أعماقها وتشعر بقهرها عليه ، فعجز كيانها الرقيق عن احتمال الضغوط والتعاسة إلى ما لا نهاية وانفجرت من الداخل ورحلت عن الحياة قبل أن تسعد بأيامها فيها للأسف .

إنني لا أريد أن انكأ جراحك أو أزيد من آلامك وأحزانك أعانك الله عليها .. لكني أناقش فقط وقائع قصتك التي أردت أنت أن يستفيد بدروسها الآخرون .. تطهيراً لك من الذنب ومن

الإحساس بالندم القاتل وعلى هذا الأساس فقط أقول إنه لا ينبغى لنا أن نسعد بقهر إرادة أبنائنا وإرغامهم على ما نريده نحن لهم ، ونشعر بالانتصار الزائف عليهم حين ننجح فى ذلك وهم فى سن الاعتماد على النفس والقدرة على الاختيار .

ولا ينبغى لنا على الناحية الأخرى أن نعتبر امتثالهم لإرادتنا على كره منهم خوفاً من حربنا الشعواء ضدهم أو تهديدنا لهم بغضب السماء عليهم ، برا بنا ورعاية لحقوقنا عليهم .. فالحق هو أننا لا نبرهم بمثل هذا القهر .. ولا ننمى شخصياتهم ولا نعينهم على مواجهة الحياة والصمود لاختباراتها ، فأحد الفلاسفة الإنجليز يقول لنا : حين تحرم الطفل من أن يخطىء ، فإنك تحرمه بذلك من اتساع مداركه . وهذا صحيح لأنه لن يعرف الفارق بين الخطأ والصواب إلا بالتجربة .

فإذا كان هذا هو الحال مع الأطفال .. فكيف يكون إذن مع الأبناء الراشدين الذين ينبغى أن نتيح لهم حق التجربة والاختيار لأنفسهم مستعينين فى ذلك بحكمة الكبار وتجاربهم؟ أما أن نحرمهم من حق مناقشتنا فيما نريده لهم وحق التعبير عن رغباتهم الحقيقية ، فليس ذلك من الحب الرشيد للأبناء أو الحرص عليهم ، وإنما هو فى واقع الأمر ، استمرار للرغبة الخفية فى أعماقنا لامتلاكهم للأبد ومصادرة إرادتهم لحساب إرادتنا نحن ورؤيتنا الشخصية للأمور .

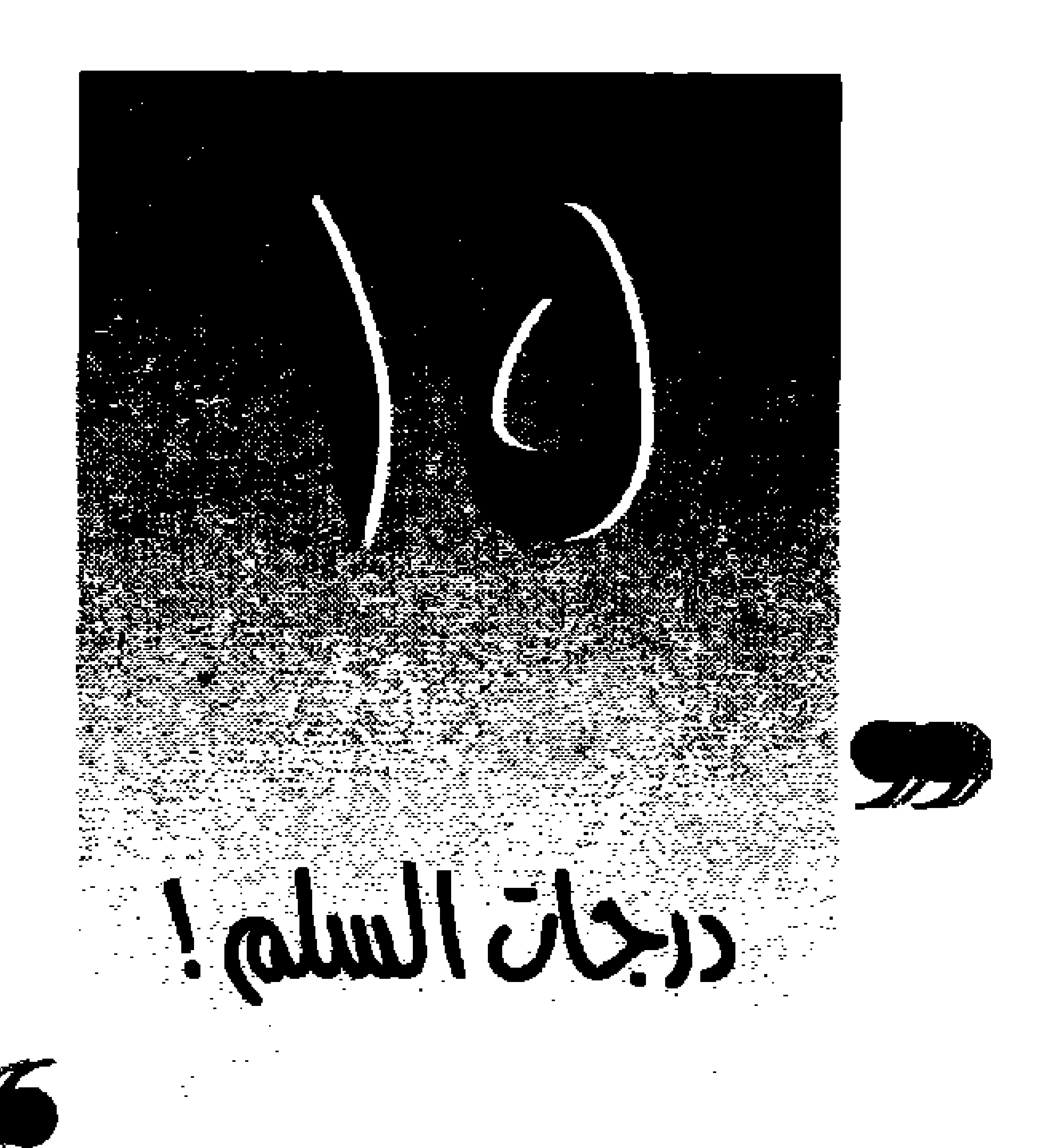
والعقلاء من الآباء والأمهات هم الذين يعرفون متى يتوقفون فى الوقت الملائم عن التطلع لفرض إرادتهم على

أبنائهم الكبار ولا يتعللون فى ذلك بالحرص على الأبناء وطلب ما فيه خيرهم وصلاح أمرهم .

«فالناس لا يساقون إلى الجنة بالعصا » كما يقول لنا أحد الحكماء وإنما بالإقناع والحوار والترغيب .

فلعلك قد أدركت الآن يا سيدتى كل ذلك ولعل ضميرك يستريح قليلاً بعد نشر رسالتك التى أردت بها أن تتخففى مما تشعرين به من إحساس مؤلم بالذنب تجاه ابنتك الراحلة . فالاعتراف بالذنب نوع من التكفير عنه .. ودعاء إلى الخالق سبحانه وتعالى أن يغفره لنا ويتجاوز عنه .. والندم القاتل الذى يكتوى به قلبك المكلوم الآن قربان مقبول بإذن الله لدى أرحم الراحمين عما جنيناه على الآخرين .. فأما الحياة والموت فلا حيلة لأحد فيهما .. ولم يكن ليتأخر عن ابنتك الراحلة أجلها المقدور عليها من قبل المجيء إلى الحياة ، فإذا كان ثمة ما ينفطر له القلب حقاً .. فهو أن الظروف لم تسمح لنا بأن نجعل رحلة الأعزاء القصيرة فى الحياة رحلة سعيدة وخالية من الآلام قبل أن تؤذن شمسهم بالمغيب .

ولقد كان فى مقدورنا أن نفعل ذلك حقاً لو كنا قد أوتينا الحكمة وبعد النظر والفهم الصحيح لحقائق الحياة فى الوقت الملائم .. لكن ماذا نفعل يا سيدتى والحياة تأبى دائماً ألا تعلمنا دروسها القاسية إلا بالثمن الغالى .. والأمنيات الحسيرة ؟!



أنا شاب نشأت بين أب حنون وأم طيبة وإخوة كثيرين ، وقد تفتحت عيناى على جو الأسرة الذى يسوده الحب العائلى .. وتربيت على أن الأب هو صاحب الكلمة العليا فى الأسرة ، فقد كانت أمى تحترم أبى بالرغم من قسوته عليها فى بعض الأحيان ، بل لقد كانت تحبه حبا شديدا .. فترسخ فى ذهنى نموذج الزوج المحبوب من زوجته والمحترم منها .. وحلمت بأن أكونه فى المستقبل .

وبعد تخرجى فى إحدى الكليات العملية عملت فى إحدى الشركات الاستثمارية ، ورحل أبى عن الحياة مبكيا عليه من الجميع ووجدتنى بلا سند ولا نصير فى الحياة سوى ساعدى وإرادتى .. فبدأت حياتى من الصفر أو ما تحت الصفر ، وتحملت مسئولية الأسرة ، وتكاتفت مع أمى على استمرار سفينة الحياة .. وبعد عدة سنوات ـ اطمأننت خلالها على استقرار أحوال الأسرة ـ

التقيت بالمصادفة فى عرس أحد الأصدقاء بفتاة ذات جمال مريح هادىء أعجبنى اتزانها وثقتها فى نفسها ، فسألت عنها وتحريت أحوالها فعلمت أنها فتاة ملتزمة أخلاقيا ومن أسرة طيبة متدينة ، فتقدمت لخطبتها .. ولم أكن حتى هذه اللحظة قد ارتبطت عاطفيا بأية فتاة من قبل ، فأحبتنى بكل جوارحها .. وتجاوزت عن ضعف إمكاناتى المادية وأبدت ترحيبها بأن تتحمل معى صعوبات البداية .. وتقبل بأية حياة أستطيع توفيرها لها .. وتزوجنا بعد خطبة استمرت نحو عشرين شهرا كانت فتاتى خلالها نبعا للحب الجارف والعطاء لى .. واستطعت بصعوبة بالغة توفير التزامات الزواج .. وحصلت على شقة ضيقة جدا بضواحى المدينة وفقا لإمكاناتى المادية .. وخشيت أن تعترض عليها فتاتى لبعدها عن أسرتها فى وسط المدينة .. فإذا بها تشجعنى على التعاقد عليها وتقول لى إن عش الحب يتسع للمحبين مهما تكن مساحته وأن بعده ليس مهما .. لأننا شباب ونستطيع تحمل عناء المواصلات إلى أن تتحسن الأحوال .. واكتملت استعدادات الزواج فى النهاية ، لكنها استنزفت آخر ما معى من نقود .. حتى لم يكن معى يوم الزواج مليم واحد .. وشعرت خطيبتى بذلك، فإذا بها تدس فى يدى خفية بضعة جنيهات كانت كل ما تملك ، وتطلب منى أن أدبر حالى بها لأن حياتنا قد أصبحت واحدة ولا فارق بين نقودى ونقودها ، وبدأنا حياتنا الزوجية فى سعادة ووئام وأحاطتنى زوجتى بكل الحب والرعاية ورأيتها دائما كالفراشة التى لا تهدأ تحوم دائما حولى وتوقظنى من نومى بابتسامة .. وتودعنى بابتسامة وتستقبلنى عند عودتى بابتسامة ولا تستطيع أن تتحمل غضبى منها إذا غضبت بضع دقائق .. ولا تستريح إلا إذا

استرضتني وبذلت كل ما تملك من جهد لإرضائي حتى لقد حاولت تقبيل قدمي لكي أرضى وأصفح حين غاضبتها ذات مرة.. وتماديت في خصامها بعض الوقت ..

أما عن معاملتها لأهلي وأسرتي، فلقد أسعدتني بها أكثر من أي شيء آخر ، فهي تلقاهم بالحب والترحيب والوجه البشوش حتى أسرت قلوبهم ودفعت أمي لأن تحثني على حسن معاملتها لأنها كما قالت لي فتاة طيبة وأصيلة .

ولقد مضت بنا الأيام فأنجبنا طفلين .. وتجاوزنا سنوات البداية الصعبة بفضل توفيق الله سبحانه وتعالى وفضل تدبير زوجتي المحبة الحكيمة ..

وبعد عدة سنوات من الزواج تحسنت أحوالي المادية إلى حد كبير .. وترقيت في عملي وتضاعف دخلي .. واستطعنا توفير مبلغ من المال .. حصلت به على شقة أوسع وأكثر قربا من وسط المدينة التي نعيش فيها بالأقاليم .. وأصبح للطفلين غرفة نوم جميلة ، بها سريران ودولابان ومكتبان صغيران .. وتغطي صور الأطفال جدرانها .. وتملؤها اللعب الجميلة .. وأصبح لدينا مطبخ واسع مجهز نتناول فيه وجبات الطعام .. وشرفة جميلة نشرب فيها الشاي وقت الأصيل .. وبعد أن كنت أعطي زوجتي في بداية حياتنا الزوجية مائتي جنيه فقط كمصروف للبيت تدير بها حياتنا ومعيشتنا واحتياجات الطفلين طوال الشهر .. أصبحت أعطيها الآن ستمائة جنيه .. وأصبح لكل طفل دفتر توفير وكذلك دفتر آخر أضع فيه كل شهر مبلغا من المال وبدأنا ندفع قسطا شهريا لشالية في المصيف القريب من مدينتنا لكي نقضي فيه عندما نتسلمه شهرا ونؤجره للمصيفين شهرين كل صيف فيدر علينا

دخـلا إضـافـيـا .. وبعـد أن أمـضـيت عـامى الأول بعـد الزواج ببنطلونين اثنين و ٤ قمصان وبلوفـرين أصبح الجانب المخصص لى من دولاب الملابس مـزدحـما بـالبدل الشـتـوية والصـيـفيـة والبنطلونات والقـمصـان ، أما زوجـتى فقـد ظلت ترتدى الملابس التى اشتراها لها أهلهـا عدة سنوات بعد الزواج وترفض شراء أى فـستـان جديد .. وتشـترى لى مـن مصـروف البيت القـمصـان الجـديدة دون علمى ، وتفـاجئنى بهـا لأن مظهـرى يجب أن يظل محترما كـما تقول .. ولم تقبل بشراء فستان أو حـقيبة يد إلا بعد سنوات من الزواج وبإلحاح شديد منى .

إذن ما هى المشكلة التى أكتب لك عنها رسالتى هذه يا سيدى ؟

المشكلة هى أننى قـد وجـدت نفسى مـنذ نحو عـامـين أبتعـد تدريجيا عن زوجتى هذه فـلا أتكلم معها كثيـرا كما كنت أفعل من قـبل .. وإذا تحدثـت هى إلىَّ لم أجدنـى راغبـا فى إطالة الحـديث معـها.. وأفضل الصمت خـلال وجودى فى البيت ، ولقد شـعرت زوجتى بالقلق لما طرأ علىَّ من تغير نحوها .. وراحت تسألنى عما ألم بى .. وتلح فى السؤال : هل هناك امرأة أخرى ؟! فأقسمت لها أنه لا وجـود لأية امرأة سـواها فى حـياتى .. لكنى لا أدرى مـاذا أصابنى .. ولا ماذا ألم بى ؟

واضطربت حيـاة زوجتى .. بدأت تتألم آلاما مبـرحة .. وتبكى كثيرا .. وتحاول الاقتـراب منى وفهم سبب تحولى عنها .. وألحت علىَّ ذات يوم فى أن تعرف ماذا أصابنى فـوجدت نفسى أقول لها إنها قـد أصبحت فى نظرى قـصيرة القـامة وذبل وجهـها ونقص وزنها ولم يعد شكلها يرضينى !

وانفـجـرت زوجـتى فى البكاء حـتى شـعـرت بالـندم على

مصارحتها بما أشعر به .. لكن الكارثة هو أن هذا هو ما أصبحت أشعر به بالفعل تجاهها ، فلقد أصبحت أرى أنها لم تعد تناسبنى بعد أن نقص وزنها كثيرا ، كما أصبحت آراها قصيرة إلى حد لا يتناسب مع طولى ، وقام سد حائل بين قلبى وقلبها وأصبحت أفكر كل ليلة فى الزواج من امرأة أخرى ذات شكل مناسب وقوام ممشوق وأقارن بين زوجتى وبين مَنْ هن فى سنها من الفتيات وأتعجب لحالها .. لكن السؤال هو : ما ذنب أبنائى فى هذه الخواطر والأفكار والأمنيات ؟ ، وكيف استطيع الخلاص من هذا الجحيم الذى يشقينى ويشقى زوجتى ، وهى التى أراها تتعذب أمامى وتتوسل إلىَّ أن نرجع حبيبين وصديقين ونخرج من هذا الجو الكئيب الذى صنعته .. فلا أستطيع الرجوع بالرغم من توسلاتها ودموعها .

إننى أعرف أنك سوف تغضب لرسالتى وتنفعل علىَّ وتتهمنى بالجحود والتنكر لعهد الوفاء .. لكنى أريد أن أتخلص من هذه الحالة ولو كان تعنيفك لى هو الثمن .. فأرشدنى إلى فهم نفسى .. وتفسير حالتى وكيفية الخروج منها .. وهل يكون بالزواج من أخرى أم بماذا خاصة أننى رجل أخاف الله وأرعى حدوده وأخشى أن يعاقبنى على هذا البعد عن زوجتى وعن معاملتى غير الطبية لها .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أعترف لك بأنك قد استدرجتنى لقراءة رسالتك هذه .. وأنك قد أسرتنى ببدايتها المضيئة بالحب والكفاح والتعاون بين قلبين محبين راضيين عما أتاحته لهما ظروف الحياة من خير يسير ، حتى إذا استنامت مشاعرى إلى ذلك وتطلعت لختام

سعيد للرسالة إذا بك تفزعنى بنهايتها المتناقضة تماما مع بدايتها .. وإذا بى اقرأ أسوأ نهاية لأحسن بداية لقصة شابين صغيرين جمعت بينهما الحياة فى عش صغير .

فماذا صنعت بنفسك وزوجتك أيها الشاب وكيف تتفق هذه البداية الجميلة مع هذه الخاتمة الكئيبة ؟

إن تفسيرك لتحول مشاعرك عن زوجتك تفسيرعجيب لا يقبله منطق ولا دين .. إذ أنه من المقبول أن تتحول المشاعر بسبب سوء العشرة أو خيانة الحب أو كثرة الجفاء والخلافات .. أو غير ذلك من الأسباب ، أما أن تتحول المشاعر لأنك قد أصبحت ترى زوجتك المحبة المخلصة التى تحسن عشرتك وتتفنن فى إرضائك وطلب مودتك قصيرة القامة ذابلة الوجه .. ناقصة الوزن .. فهو أمر لا تفسير له إلا بأن طوفان مشاعر زوجتك العاطفية الذى أغرقتك به منذ ارتبطت بك لم يصادفه للأسف طوفان مماثل أو أقل منه سخاء من جانبك وغاية ظنى هو أنك قد استمتعت بحبها وعطائها لك بغير أن تبادلها مثل هذا الحب الغامر أو أقل منه درجة .. وإنما اكتفيت « باستقبال » الحب دون التواصل معه بإرسال مماثل صادر عنك ..

فإذا كانت زوجتك المحبة قد بدت لك فجأة قصيرة القامة مع أن هيئتها لم تتغير من هذه الناحية على الأقل منذ رأيتها لأول مرة ، فلأن :

عين الرضا عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدى المساويا

أو لأن اتساع الوقت أمام الإنسان للتفكير فيما ينقصه بعد تحسن الأحوال وقد كان من قبل مشغولا بالكفاح لشق طريقه

فى الحياة قد يفتح البـاب أمام النفس الأمارة بالسوء لأن ترى صاحـبها دائما جـديرا بالأرفع والأفضل حتى لو كـان ما بين يديه مرضيا له ومحققا لكل مطالبه من الحياة .

أو لأن بعض البشر ينطبق عليهم بالفعل ماجاء على لسان بروتوس فى مسرحـية «يوليوس قيصر» لشـاعر الإنجليزية الأكبـر وليم شكسـبير حـين قال : بعـض الرجال يصـعدون درجـات السلم فمـا إن يصلوا إلى النقطة الأعلى حـتى يزدروا الدرجات التى حملتهم إليها !

فاختـر لنفسك ما يناسبـك من هذه التفسيرات أمـا أنا فإنى سـأقول لك فـقط إن السـعـادة فى الزواج لا تتحـقق بالقـوام الممشوق أو المواصفات الجسمية وإنما بالحب المتبادل وائتلاف الأرواح والعشـرة الطيبة والفهم الصـحيح لحقائق الحـياة .. فكم من أزواج شـقـوا بزوجـات توافـرت فـيـهن المواصـفـات الجسمية المثالية ، وافـتقدن ما هو أهم منها من العطاء وحسن العشرة والإخلاص ، وكم من زوجات شـقين بأزواج لايعيبهم نقص جـسمـانى أو شكل خـارجى .. وافتـقدن أيضـا أسبـاب الوفاق والسعادة مع أزواجهن .

وليس أبعـد عن الحكـمـة وفـهم حـقـائق الحـيـاة من هذا التصور الساذج للسعـادة الذى يربط بينها وبين طول القامة ووزن الجسم وهيئة الوجه ..

ولقد آذيت زوجتك المخلصة كثيرا حـين صارحتها بأسباب تحـولك عنها ولخـصتـها لهـا فى هذه الأسبـاب الجسـمانيـة الجارحة ، ذلك أنه من القسوة المعنوية أن يلام المرء على ما لا حيلة له فـيه من مواصفاته الجـسمية .. فـراجع نفسك طويلاً

أيها الشاب قبل أن تظلم نفسك وتحرمـها من سعادتها الحالية جريا وراء أمل كاذب فى سعادة وهمية ..

وفكر طويلا فى هذه العبارة الحكيمة التى قالـها إمـام المتقين على بن أبى طالب :

رغبتك فى زاهـد فيـك مـذلة نفس

وزهـدك فى راغب فيك نقصان حظ

فـلا تزهد زوجـتك الراغبـة فـيك بدلا من أن تشكو أقـدارك عليـها ، فـتضـيع حظك السـعيـد بيـديك ، ولا تتطلع إلى من لا تضـمن ألا يزهدك وألا يكافىء رغـبتك فـيـه برغبـة مماثلة فتحكم على نفسك بالمذلة وعلـى زوجتك بالشقاء وعلى طفليك بالتعاسة ..



أنا سيدة شـابة تزوجت منذ أربع سنوات ورزقنى الله طفلين ، أكـبرهمـا عـمره ٣ أعـوام ، وزوجى شـاب طيب على خلق ودين ويصلى فى المسجد ويحثنى على الصلاة فى وقـتها وقد كنت قبل الإنجـاب أعمل وبعـد الولادة رأى زوجى أن أتفـرغ لرعـاية طفلى حرصا على راحتى ، ولكنى رأيت فى ذلك تحكما منه وبالرغم من ذلك استجبت له !

وزوجى يعـامل أبى وأمى باحـتـرام ويزورهمـا على فـتـرات متباعدة ، لكنى لا أحب أن أزور والدته ولم أزرها منذ عام ونصف العام كـما أننى لا أريد لولدى أن تراهمـا أم زوجى ، كمـا تراهما أمى ، ولهذا السـبب وبسبب جدالى معـه فى كل صغيرة وكـبيرة أصبح زوجى يعاملنى بقسوة !

كـما حـدث أيضـاً أننى قـد خـرجت ذات يوم بدون إذنه وعند عـودته غضـب منى زوجى وتدخل أحـد أقربائه لتـهـدئة الموقف

وتجاوز عنه زوجى وسامحنى ولم يعلم أبى شيئا عن ذلك لكنى رأيت أن التصرف سليم !!

وهناك مشاكل صغيرة تحدث بينى وبين زوجى ويمكن حلها فيما بيننا لكنى لا أتحملها وأخبر بها أمى أولا بأول بغير علم زوجى ، ويحدثه أبى فيها فيغضب منى لخروج أسرار بيتنا ويعاملنى بجفاء لأنه نبه علىَّ قبل ذلك بألا أفعله ، وقد استفحلت المشاكل بينى وبين زوجى وبينه وبين أبى وأمى .. وأنا الآن مقيمة فى بيت أمى لمرضى وحاجتى لِمَنْ يخدمنى وزوجى فى بيت والدته، وكان يجئ ليأخذ ابنه الكبير ليبيت معه لكنى كنت لا أسمح له به أكثر من يومين مع أن الولد متعلق بأبيه وأهله ، وإذا تأخر زوجى فى إعادته كنت انهره وأعبس فى وجهه فيغضب زوجى لذلك .. وقد أرادنى أن أعود إلى بيت الزوجية لكنى رفضت العودة إلا بشرط ألا يذهب ابنى إلى جدته لأبيه ، فقال لى زوجى إنه لا حق لى فى هذا الشرط وطلب منى العودة إلى البيت لكنى رفضت فتركنى عند أبى وقطع عنى المصروف وقال : من لا يسمع كلمتى لا يأكل لقمتى ، وبعد أسبوعين طلبت منه أشياء خاصة بى من بيت الزوجية فطلب منى إحضار القائمة وتسلم منقولات الشقة .. وأنا الآن خائفة وحائرة فماذا أفعل ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

فى أى شىء تطلبين النصيحة بالضبط أيتها السيدة الشابة ؟

إننى لو سئلت عن أسرع طريقة لهدم الحياة الزوجية والوصول إلى الطلاق من أقصر الأبواب لما وجدت «أبلغ» من رسالتك هذه كطريقة سحرية لهدم الأسرة !

فأنت تقـولين إن زوجك يعامل والديك باحتـرام ويزورهما على فـتـرات مـتـبـاعـدة ، لكـنك لا تحـبـيـن زيارة والدته ولم تزوريهـا منذ أكـثـر مـن عـام ونصف العـام ، وهذه هى الخطوة الأولى فى الوصـفـة السحـرية لإسـاءة العلاقـة بين الزوج وزوجته وإيجاد بؤرة دائمة للتوتر بينهما .

وتقولين إنك تجادلين زوجك فى كل صغيرة وكبيرة وهذه هى الخطوة الثانية من هذه الوصفة المشئومة .

وتقـولين إن زوجك قـد نهـاك عن البـوح بما يحـدث بينك وبينه من مشـاكل صغـيرة يمكن حلها فـيما بيـنكما ومع ذلك فأنت تبلغين بها والدتك أولا بأول ويحـدث والدك فيها زوجك فيـغضب لذلك ويعاملك بجـفاء وهذه هى الخطوة الثـالثة من الروشتة الناجعة لهدم البيوت الآمنة ..

وتقولين إنك قد هجرت بيت الزوجية وتغضبين وتعبسين فى وجـه زوجك إذا تجـاوز طفـلاك مـهلة اليـومـين اللذين حددتهما لبقائه معه فى بيت والدته ثم ترفضين بعد ذلك كله الاستجابة لطلبه منك بالعودة إلى بيت الزوجية إلا بشرط ألا يذهب طفـلاك إلى بيت جدته لأبـيه لأنك لا تحـبين لطفليك أن تراهما جدتهـما لابيهما كمـا تراهما والدتك وهذه هى الخطوة القاضية على أية اسرة .

فلماذا تتعجبين إذن لطلب زوجك منك أن تتسلمى منقولاتك تمهيدا للانفـصال عنك ـ وأين «المفاجأة» فى ذلك وقـد سعيت انت بهمة غير مشكورة لبلوغ هذه النتيجة المؤسفة ؟

لقد احصيت عدد المرات التى استـخدمت فيها كلمة «لكن» .. أو «لكنى» فى رسالتك القـصيرة فـوجدتها سبع مـرات وكلها

تليها كلمة «رفضت» أو «رأيت» فلقد طلب منك زوجك التفرغ لرعاية الطفلين والأسرة وحرصا على صحتك ، لكنك رأيت فى ذلك تحكما .. وزوجك تسامح معك فى أمر خروجك من البيت دون إذنه ، لكنك رأيت أن تصرفك كان سليما !

كما أنه طلب منك العودة للبيت لكنك رفضت إلا بشرط لا يبيحه شرع ولا دين ولا يقر به عاقل ولا مجنون .

فما هذا الهراء أيتها السيدة الشابة ؟

إن الحياة الزوجية مسئولية تحتاج إلى الرشد والحكمة والصبر والتسامح للنهوض بها وأنت تتعاملين مع حياتك الزوجية بخفة وحمق وقصر نظر لا مثيل له فأرجعى إلى رشدك وتحملى مسئوليتك عن طفليك وزوجك وكفى عن هذه الرعونة وعودى إلى بيتك قبل أن يتهدم فوق رأسك ورؤوس أطفالك الصغار وتنازلى عن هذا الشرط الشائن بلا مساومة .. وحاولى إصلاح علاقتك بوالدة زوجك ، وإصلاح العلاقة بينه وبين والديك وكُفِّى عن إبلاغهما بكل تفصيلة تحدث بينك وبين زوجك لكيلا تسممى الآبار المشتركة بينهم وتوقفى عن مجادلة زوجك فى كل صغيرة وكبيرة إذا كنت ترغبين حقا فى الحفاظ على حياتك الزوجية وأمان طفليك .



أنا آنسة أبلغ من العمر ٢٦ عاما ، وحاصلة على دبلوم أحد المعاهد الفنية التجارية .. وقد بدأت قصتي حين شهدت أسرتنا قبل بضع سنوات مشكلة مؤلمة دفعت أبي لأن يطلق أمي ، وقد فعل أبي ذلك لأنه وقع في غرام أختها التي تصغرها بثلاث سنوات ، والمتعلمة ، وفي حين أن أمي لم تنل حظا كافيا من التعليم . وقبل أن يقع الطلاق كانت القصة قد ذاعت في مدينتنا بالوجه البحري ، وعرف كثيرون أن أبي يحب خالتي وهي تحبه كذلك وأن الاثنين قد ضحيا بأمي على مذبح الحب والغرام بلا أي اعتبار لمشاعر أمي ، وسمعة الأسرة وكل الأشياء التي يراعيها الناس في حياتهم .. وانتهى الأمر بزواج أبي من خالتي .. وانشغالهما بحياتهما الجديدة . وانطوت أمي على أحزانها وضمتنا لها .. وراحت تحدب علينا وتعوضنا عن غياب الأب من حياتنا .. وبعد صراع قضائي في المحاكم قضت لها المحكمة ببعض حقوقها

المادية وبنفقة بسيطة كانت هى عماد حياتنا معها . وعشنا ونحن لا ندرى لماذا يعيش أبى مع خالتى فى بيت واحد وتعيش أمى وحدها معنا فى بيت آخر . واحتاج الأمر منا إلى بعض الوقت لكى نفهم سر هذا اللغز المحير وشعرنا بالخجل والعار حين فهمنا وأحسسنا بحاجتنا لأن نتكتمه عن صديقاتنا وزميلاتنا فى المدرسة .. فكنا نزعم لـمَنْ يسألنا بأن أبى طلق أمنا لعدم التفاهم بينهما وتزوج امرأة غريبة لا نعرفها وليست من أقاربنا !

وأنتهيت أنا من دراستى وأصبحت شابة فى سن الزواج ، فإذا بالمشكلة التى وقعت قبل سنوات تفرض نفسها علينا بشكل آخر إذ بدأ يتقدم لى أكثر من خاطب ويقوم بزيارتنا زيارة التعارف المبدئية وأرحب به .. ونسأل عنه ويسأل عنا .. فننتظر زيارته الثانية فلا يعود أبدا ، ونتساءل عن السبب ، فيقال لنا إنه قد تحرى عن ظروفنا العائلية وعرف بقصة غرام أبى مع خالتى وطلاقه لأمى ليتزوج أختها فرأى أن أسرتنا غير جديرة بمصاهرته !

وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات حتى الآن ، فما ذنبى يا سيدى فى أن أبى قد أحب خالتى وكره أمى ، وفى أن خالتى قد بادلته الحب ولم تر مانعا من أن تتزوجه بعد طلاقه لأختها ، ولماذا أدفع أنا ثمن هذا التصرف من فرصتى فى الزواج والاستقرار .. وهل كل فتاة طلقت أمها لأسباب لايد لها فيها تكون كما قال أحد هؤلاء الخطاب - غير حريصة على استقرار زواجها فى المستقبل لأنها «عرفت» الطلاق فى أسرتها من قبل .. وقد تستسهله عند أول صدام ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لاذنب لك يا آنستي فيما جرى بين أبيك وخالتك منذ بضع سنوات ، وإنما الذنب كل الذنب لـمَنْ لم يفكر في انعكاس اختياره الأناني لسعادته الشخصية مهما يكن مصادما للمشاعر ومخالفا للأعراف والتقاليد ، على حياة زوجته الأولى وأبنائه . والمشكلة الحقيقية هي أن بعض الأشخاص يطغى عليهم الإحساس بذواتهم ورغباتهم فلا يضعون في اعتبارهم شيئا سوى طلب السعادة لأنفسهم مهما يترتب على ذلك من تعاسة للآخرين أو الإضرار بالأعزاء في الحاضر والمستقبل والمؤكد هو أن والدك لم يتوقف كثيرا لكى يتحسب لأثر زواجه الخارق للمألوف من شقيقة زوجته ، على مستقبل ابنته وفرصها في الزواج بعد بضع سنوات .. كما لم تفكر هذه الشقيقة نفسها لحظة واحدة في أثر زواجها من زوج شقيقتها على هذه الأخت الحسيرة أو على إحساسها بالقهر والكمد والغدر المزدوج من زوجها وأختها ، ولا عجب في ذلك لأن مَنْ ينشغل بنفسه ورغباته عن كل شيء عداها لا يعنيه من أمر الآخرين شيئا كثيرا ، ويستحق في المقابل ألا يكترث به الآخرون وألايروه جديرا بالاحترام والمصاهرة كما فعل بعض هؤلاء الذين تقدموا إليك وأسرعوا بالفرار بعد فهمهم للغز الذى سبق أن حيرك من قبل طويلا .

فإذا أردت أن تتفهمى أسباب عزوف هؤلاء الخطاب بعد إقدامهم على خطوة البداية .. فقد أستطيع شرحها لك دون أن يعني ذلك موافقتي لهم عليها أو اختلافي معهم حولها .

فأما نفورهم من الارتباط بأسرة طلق ربها زوجته وتزوج

من أختها فتفسيره هو أن هؤلاء الخطاب يرون فى ذلك مؤشرا مخيفا للقيم الأخلاقية والإنسانية التى تحكم تعامل هذا الأب مع الحياة .. فينفرون من مصاهرته والتعامل معه كصهر وجد لأبنائهم فى المستقبل ، كما قد يرون أيضا فى ذلك مؤشرا سلبيا للقيم العائلية السائدة فى أوساطه الأسرية لايطمئنهم ولا يغريهم بالاندماج فى أسرته .

وأما تخوف بعض هؤلاء الخطاب من الفتاة التى نشأت فى أسرة ممزقة بالطلاق بين أبوين فتبريره عند بعضهم هو ميلهم لعدم الثقة أو الاطمئنان إلى أخلاقيات الأبناء الذين ينصرف الأب عنهم إلى حياته الخاصة .. ويتركهم لأقدارهم فى رعاية أم قد تعجز وحدها عن كبح جماحهم وغرس الفضائل الأخلاقية فيهم بالقدر المطلوب ، ومع أن هذا الاعتبار ليس بالضرورة أن يكون صحيحا فى بعض الأحيان إلا أنه يؤثر بالفعل فى تقييم بعض الشباب لظروف الفتاة التى يرغبون فى الارتباط بها ، خاصة إذا كان الارتباط تقليديا ويعتمد على تقييم الظروف العائلية للفتاة .. دون تجربة شخصية فى التعامل معها تكشف لهم عن حقيقة أخلاقياتها وقيمها الدينية والعائلية .

وأما هواجس بعض الشباب بشأن الفتاة التى نشأت بين أبوين منفصلين فتبريرها هو اعتقادهم بأن تعاملها مع تجربة الطلاق فى حياتها الشخصية قد يوحى لها بأنه أمر ليس خارقا للمألوف ولا هو نهاية الكون ، بدليل صمودها هى وإخوتها للحياة بالرغم من انفصال الأبوين .. وبالتالى فقد لا تستبعد فى المستقبل فكرة طلاقها من زوجها إذا تعثرت

حياتهـا الزوجية أو اصطدمت ببعض العقـبات الكؤود ، لأنـها قد تقبلت الفكرة نفسيا من قـبل .. ولا مانـع من تقبلها بـها مرة أخرى إذا دعت الضرورة لذلك ، وذلك على خلاف مَنْ تنشأ فى أسرة مستقرة تعتبر الطلاق حلا مستحيلا للمشاكل العائلية ، ولا ينبغى مـجرد التـفكير فـيه ذات يوم مهـما تكن الصـعاب والمتـاعب .. وهذا الاعـتـقاد بالذات ، وإن كـانت له مـبـرراته الموضوعية إلا أن تجارب الحياة كثيرا ما تثبت خطأه ، وكثيرا ما تؤكد لنا التجربة أن الأبناء من ضـحايا انفصال الأبوين قد يكونون على الناحيـة الأخرى أكثـر حرصا فى المسـتقبل على حيـاتهم العائلية .. وأكـثر تحمـلا للصعاب ، وأشـد نفورا من فكرة الطلاق لكى يجنبـوا أبناءهم مرارة التمـزق العائلى التى تجرعوها هم أنفسهم من قبل .

لكن الآباء والأمهات ـ بالرغم من ذلك ـ قد يأكلون الحصرم فـيـضرس الأبـناء ولو بعـد حيـن كمـا هو الحـال مـعك الآن يا آنستى .

والمؤكـد أن هؤلاء الخطاب الثـلاثـة الذين ابتـعـدوا عنك وحكموا عليك بظروفك العائلية التى لا حـيلة لك فيها لو أنهم اقتـربوا منك ودرسـوا شخصـيتك جـيدا لكانـوا أكثر تقـديرا وإنصافا لك .

فانـتظرى فرصـتك العادلة فى السـعادة .. ولسـوف تضع الأقـدار فى طريقك مَنْ «لا يحاكـمك» أنت على مـا جناه والدك وخالتك .. وإنما يـرى فيك مزاياك وأخـلاقياتك ويبـنى حكمه عليك على أساسها وحدها بإذن الله .





العودة إلى الصداقة !

أنا مهندسة معمارية عمرى ٣٤ سنة ومتزوجة من زميل لى فى نفس العمر والمهنة وكان زميل دراسة وزميلاً لى فى العمل بعد التخرج لعدة سنوات وقد بدأت قصة زواجنا بداية غريبة بعض الشىء ، فلقد كنت مرتبطة بشخص آخر أحببته ، وكان هو أيضاً مرتبطاً بفتاة أحبها منذ فترة طويلة .. وكان كل منا صديقاً للآخر ويتمنى له السعادة مع مَنْ يحب .. وكنت استمع إليه وهو يحدثنى عن قصة حبه التى باءت بالفشل وتزوجت فتاته من غيره، وكثيراً ما فكر فى طريقة لإنهاء زواجها لكى يتزوج منها حتى بعد انجابها من زوجها . لكنه بعد أن زاد عدد أطفالها صرف نظراً عن الأمر .. أما أنا فقد كنت مرتبطة بغيره وأروى له عنه ثم فشل ارتباطى أنا أيضاً فإذا بصديقى وزميلى فى الدراسة والعمل يتقدم إلى طالباً الزواج منى . وإذا به يقول لى إنه يحبنى ويخاف علىَّ وبيننا صداقة قديمة وقد جرب كل منا حباً فاشلاً فى حياته

وأصبحنا جديرين ببعضنا البعض . وترددت في قبول طلبه في البداية لأنه كان صديقاً وأخاً لي ولم أفكر فيه من قبل على نحو آخر ، لكن تكراره لطلبه حرك مشاعري تجاهه وقبلت بالزواج منه وسعد كل من حولنا بارتباطنا .. وبدأنا الكفاح لتحقيق مشروعنا للزواج ، وكانت المشكلة أنه لا يملك الكثير ولا يدخر من مرتبه شيئاً بسبب إسرافه .. وخلال فترة خطبتنا رحل عن الحياة زوج فتاة خطيبي السابقة ، وشعرت بالقلق من احتمال عودته إليها وسعيه للارتباط بها بعد أن خلا له الطريق .. وحسمت شكوكي ذات يوم بأن خيرته بيني وبينها ونحن ما زلنا في مرحلة الخطبة وقبل الزواج ، لكنه سخر من مخاوفي وأكد حبه لي وانصرافه نهائياً عن القصة القديمة ، وبعد عام من الخطبة نجح بصعوبة في حجز شقة بالتقسيط ولأن تسلمها كان سيستغرق بعض الوقت، فلقد خطرت لنا فجأة فكرة الزواج والإقامة مع أمي التي تعيش وحيدة بعد زواج الأبناء ونفذنا الفكرة على الفور .. وبدأنا حياتنا الزوجية ولم تسبب لنا أمي أية مشكلة ، بل كانت نعم العون لي خاصة حين أنجبت طفلتي الوحيدة ، فلقد كانت ولادتي خطيرة .. وأشرفت على الموت خلالها لولا رحمة ربي واضطر الأطباء لإخراج طفلتي وعمرها ٧ أشهر ونصف الشهر لإجراء جراحة عاجلة لي بعد انفجار الشريان الموصل بين الطحال والبنكرياس ، ونزفت كل ما في جسمي من دم وخرجت طفلتي ناقصة الوزن وتعاني الاختناق البسيط .. وانتقل إليها من الحضانة ميكروب كاد يسبب لها عاهة مستديمة في قدمها ويدها ، لولا ملاحظتي الدائمة لها وسرعة علاجها وصبرنا على حقنها في الوريد ٦ مرات كل يوم لمدة حوالي أربعة أشهر ، ثم ابتسمت لنا الحياة أخيراً ونجت طفلتنا وبدأنا نسدد الديون التي تراكمت علينا خلال الفترة

السابقة .

ولم تواجهنا مشاكل كبيرة فى علاقتنا كزوجين وإنما كانت كل مشاكلنا عادية ومفهومة بالنسبة لاختلاف طبيعة كل منا ، فزوجى كتوم ولا أعرف الكثير عن تصرفاته خارج البيت .. وأنا لا أخفى عنه من أمرى أى شىء ، وأنا معتدلة فى كل آرائى ومواقفى وهو متطرف فى بعض آرائه والأمور عنده إما أن تكون بيضاء أو سوداء وهكذا ..

ومضت الحياة بلا متاعب حقيقية .. ولم يجد أى جديد إلا حين وجدت زوجى يترك وظيفته ويتفرغ للعمل الخاص بالرغم من أنه مخاطرة كبيرة لأن العمل الخاص غير مضمون ونحن لا نملك أية مدخرات تصلح لمواجهة الظروف الطارئة .

ومع ذلك، فلقد قبلت الأمر الواقع بعد فترة وتمنيت له النجاح والتوفيق ، وسافر هو إلى الغردقة لتنفيذ عملية صغيرة وتركنا فى القاهرة أنا وطفلتى التى كانت قد بلغت من عمرها ٣ سنوات ، وأصبح لا يرانا إلا على فترات متقطعة ولمدة نصف يوم فقط حين يجىء إلى القاهرة لإنهاء بعض الأوراق والمعاملات ، وتحملت مسئولية ابنتى ومرضها المستمر إلى جانب عملى الذى أعود منه فى الخامسة مساء ، ومن العجيب أن حبى لزوجى وتعلقى به قد تضاعف خلال فترة ابتعاده عنا فأغدقت عليه من حبى وعواطفى بينما ظل هو مستقبلاً فقط « ولا يرسل » ويقول إن لكل شىء وقته .

وبعد عدة زيارات قصيرة منه ، اقتربت العملية التى ينفذها بالغردقة من الانتهاء وأصبحت أحلم بقرب عودته والاستقرار معنا وطلب منى البحث عن شقة أخرى لنا بالقرب من مسكن أمى ثم فجأة اختلفت لغة الحوار بينى وبين زوجى وأصبح لا يطيق

اتصالى به تليفـونيا .. ولا ينظر إلىَّ إذا رجع فى زيارة ويقاطعنى مقاطعة تامة خـلال وجوده ، ثم عاد ذات مرة إلى عمله .. واتصل بى من هناك لينهى إلـىَّ قراراً خطيـراً اتخـذه ويريدنى أن أوافقـه عليـه .. وهو أن ننفـصل بالـطلاق ونرجع كـمـا كنا قـبل الزواج صـديقين وأخـاً وأختـاً يتعـامل كل منا مع الآخـر بود واحتـرام ومراعاة للمشاعر !

وصعقت عند سماعى لهذا « الـقرار » وسألته عن أسبابه وهل هو مرتبط بغـيرى فأقـسم لى أنه لا يعرف امرأة سـواى .. لكنها كـمـا قال رواسب خـلافـات قـديمة بيـننا طفت عليـه من الداخل وأقنعته باستحالة الحـياة بيننا ، ورجوته ألا يتسرع فى اتخاذ أى قرار إلى أن يرجع للقاهرة .. وانتظرته على أحر من الجمر ، وجاء ووجـدنى منهارة وجلست مـعه مـرات عديدة أسـأله عمـا دفعـه للتفكير فى هذا القرار فلا يزيد حديثه كل مرة على أننى كما يقول سامـحه الله قد آذيته كـثيراً .. ولم يعـد يريد الاستمـرار .. فأبكى وأقول له : وأين الحب .. وأين الطفلة .. وأين .. فلا أجد منه جواباً شافياً .. وتكرر الحديث بيننا دون أن يغير رأيه . وأصطحبته ذات يوم إلى أحـد الشيـوخ الطيبـين لكى يقرأ عليـه القرآن ويدعـو له بالهـداية، فجلس إلـيه طويلاً وتلا عليـه آيات من الذكـر الحكيم .. وفى نهاية الجلسـة طلب منى الرجل الصالح إقناع زوجى بزيارة الطبيب النفسى ، لأنه فى حـالة غير طبيعية ويحـتاج إلى المساعدة لكن زوجى رفض فكرة الذهـاب إلى الطبيب نـهائيـاً واسـتجـاب لبكائى فأجل قـرار الطلاق واكتـفى بالانفصال عنى والإقـامة فى بيت والدتـه ، ومنذ ذلك الحـين وهو يـأتى إلينا من حـين لآخـر ليـصطحبنى أنا والطفلة فى نزهـة خارج البيـت ويتصرف مـعى خلالها بود واحترام ويغـدق علينا ويحرص على راحتنا وإسعادنا

ثم تنتهى النزهة فيعدينا إلى البيت .. ويذهب هو إلى حال سبيله وتنقطع كل صلة له بنا إلى أن يعود مرة أخرى ، مع استمراره فى تحمل مسئولياته المادية عنا ، إننى أدعو الله أن يلهمنى الصبر والقدرة على الوقوف إلى جانب زوجى إن كان يعانى أى مرض ، كما أدعوه أن يهديه سواء السبيل ويخلصه من وساوس الشيطان، ولقد نذرت لله صوم يومين كل أسبوع إلى أن يفرج عنى هذا الكرب ، لكن فترة الانفصال طالت وزوجى لا يرى فيه بأساً ما دام ينفق علينا ولن يتخلى عنا ، وهو متدين ويخشى الله ويقول إنه لا يعرف امرأة أخرى ، ولو أراد أن يتركنى من أجل أخرى، فإنه يؤمن بأن الله سوف ينتقم منه ويعترف لى بأننى زوجة مخلصة، لكنى حزينة وخائفة وأفتقد زوجى ووجوده إلى جانبى وأطلب منك الرأى والمشورة .. كما أتمنى أن تلتقى بزوجى لتسمع منه وتحدثه بحديثك المقنع وأن تكتب له بأن هدم الحياة الزوجية ليس بالأمر الهين كما أننى أحبه جداً جداً ولن أكرهه مهما حاول إرغامى على ذلك .. ووالله ما آذيته ذات يوم ولا حاولت إيذاءه وقد أعلنت اعتذارى عما فعلت وعما لم أفعل وأكدت استعدادى لأى نوع من الإصلاح مهما يكن حجمه من أجل سعادتنا وسعادة ابنتنا الغالية .. فماذا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك لاسترداد زوجى يا سيدى ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لم أفهم من رسالتك ما يقصده زوجك بأنك قد آذيته كثيراً وحاولت دائماً إيذاءه ـ كما لم أفهم أيضاً أى خلافات هذه التى طغت رواسبها عليه حتى حالت دون تواصله معك ؟

ولماذا الغموض والإبهام فى حديثه عن أسباب رغبته فى الانفصال عنك ؟ ولماذا لا يصارحك بكل ما ينكره عليك ..

وبنيته الحقيقية وأهدافه من هذا الانفصال ؟

إن زوجك يا سيدتى يحتاج إلى أن يكون صريحاً مع نفسه لكى يستطيع بالتبعية أن يكون صريحاً معك . ويحتاج لأن يواجه نفسه برغباته الحقيقية التى قد يتجاهلها أو يرفض الاعتراف بها خجلاً منها أو إحساساً بالذنب تجاهها ، لكى يستطيع بالتالى أن يواجهك ويواجه الآخرين بها ومشكلة كثيرين منا أنهم قد يدركون رغائبهم الحقيقية ، لكنهم يخجلون من الاعتراف بها . ويضطرهم ذلك إلى التعمية عليها والدوران حولها بدلا من مواجهة النفس والغير بها ، وتقديرى هو أن زوجك يخفى من أمره أكثر مما يظهره .. وأنه يمارس طبيعته كشخص كتوم حتى فى هذا الموقف المصيرى الذى يتطلب الصراحة والوضوح .

وإحدى أهم مشاكل الحياة الزوجية فى مجتمعاتنا .. وأحد أسباب دهشتنا أمام بعض التحولات العنيفة غير المتوقعة فيها فى بعض الأحيان ، هو أننا لا نواجه المشاكل فى بداياتها.. ونفضل فى كثير من الأحوال تأجيل حسمها أو حتى مناقشتها إلى أجل غير معلوم ، فتبدو الحياة ظاهرياً هادئة وناجحة .. فى حين أنها تمور فى باطنها بالدوامات والأعاصير .. وتبدو المشكلات العارضة التى نواجهها وكأنها مجرد قطع من الثلج طافية فوق سطح البحر يسهل تفادى الاصطدام بها .. فإذا بنا نكتشف فجأة أن ما ظنناه قطعة شاردة يمكن إزاحتها جانباً ، ليست سوى رأس جبل تليد من الجليد يكفى لإغراق السفينة وتحطيمها إلى أشلاء عند الاصطدام بها ، وكل ذلك يرجع إلى الخوف من المواجهة فى البدايات المبكرة .. والتظاهر بالرضا عن الحياة على خلاف

الواقع مع أننا لو آثرنا مواجهة النفس والغير بما نشكو منه ونرفضه لأمكن حل كثير من المشاكل وإزالة آثارها من النفوس بغير أن تتحول رواسبها إلى قنبلة زمنية تنفجر حين يظن غيرنا أنها أكثر الأوقات أماناً وسلاماً .

فما الذى أنكره عليه زوجك وشكا منه خلال سنوات زواجكما ، وأيا كان ما أنكره عليك من قبل ألا يكفيه أن تعتذرى عنه كما أعتذرت عما فعلت وعما لم تفعلى كما تقولين فى رسالتك ؟

إن فترة الانفصال الحالية بغير طلاق قد تكون ملائمة لأن يراجع كل منكما سجله مع الآخر .. ويعترف لنفسه بأخطائه فى حقه ، ويصلح من نفسه ويتهيأ لبدء صفحة جديدة مع شريك حياته خالية من مرارات الماضى وحماقاته .

وفى كل الأحوال ، فإن حرصك على زوجك وسعيك لاسترداده وبكاءك بين يديه .. كاف تماماً لأن يقدره لك زوجك.. ويتسامح مع ما يعتبره هو من أخطاء الماضى .. وليتذكر دائماً أننا كأشخاص لا قيمة لنا إلا عند مَنْ يحبوننا ويحرصون علينا ويتوسلون بالحيل للحفاظ علينا وإن من شقاء المرء أن يزهد فى راغب فيه .. ويضيعه من بين يديه فيجىء يوم يتحسر فيه على مَنْ أضاعه . ويتمنى عودته إليه بلا طائل .. أو يقول كما قال الشاعر العربى :

نقمت على عمرو فلما فقدته وجربت أقواماً بكيت على عمرو

ومن المؤسف حقا أن ينتهى الحب والزواج مثل هذه النهاية لغير أسباب جادة وواضحة ومقنعة للآخرين . والأكثر إيلاماً هو أن تدفع ثمن هذه الأسباب غير المقنعة طفلة بريئة تحتاج إلى أبويها معاً . ولم يستشرها أحد فى رغبتها للمجىء إلى

الحياة قبل إنجابها . ولم تختر هي أبويها .. ولم تكن شاهدة على بداية زواجهما غير المألوف ، فإذا كان زوجك يعاني اكتئاباً عارضاً ، فإنه يستطيع تلمس سبل العلاج لدى الطبيب النفسي .

وإذا كان يخفي عن نفسه وعنك دوافعه الحقيقية للرغبة في الطلاق فمن واجبه أن يكون صريحاً مع النفس ومع الغير.

أما « حلمه » بالعودة للصداقة القديمة بينكما بديلاً عن علاقة الزواج فما الذي يمنعه من العودة إليها مع استمرار الزواج وماذا يحول دون أن يصبح كل منكما شريك حياة للآخر وصديقاً وفياً وأخا له .

ومَنْ الذي قال إن علاقة الزواج تتعارض في أعماقها مع علاقة الصداقة الحميمة التي تجعل كلا من الزوجين الصديق الأوفى للطرف الآخر ؟

إنني على استعداد لمقابلته والاستماع إلى وجهة نظره ومناقشته فيها .

وفي النهاية ، فإن من واجبك أن تستنفدي كل الوسائل لحماية طفلتك وأسرتك وبيتك من عواقب الانهيار ، لكن هناك لحظة فارقة يصبح فيها الاستمرار في بذل هذا السعي دون أية استجابة من الطرف الآخر مذلة للنفس وهوانا لا يرضاهما الإنسان الكريم لنفسه مهما تكن دوافعه للسعي نبيلة ومشروعة ، وكل ما أتمنى قوله لزوجك إذا جاء لزيارتي .. هو: حذار من اللحظة التي تشعر فيها زوجتك بالمهانة والمذلة.. وترى أنها قد بذلت كل ما في وسعها لحماية بيتها بلا طائل .. وقد آن الأوان لأن تتمالك نفسها وتأبى عليها الاستمرار في هذا الهوان !



أنا سيدة فى أوائل الثلاثينيات من عمرى ، على قدر لا بأس به من الجمال، يتيمة الأبوين ، فقد رحل عنا والدى رحمه الله منذ فترة.. وتوفيت أمى إلى رحمة ربها بعد زواجى بعامين ولقد أثمر زواجى طفلين والحمد لله ، وأنا وزوجى كل منا فى مركز مرموق فى عمله ، وبالرغم من أن الجميع يشهدون لى فى عملى وبين الأهل باللباقة وحسن التصرف ، إلا أن زوجى يستخف بى دائما فلا يستشيرنى فى أمر من أمورنا ولا يسمع لى ولا يناقشنى ، ويزيد على ذلك باستهزائه بى وإهاناته لى أمام إخوته ، فبعد أن توفى والده يرحمه الله عرض علىَّ أن نقيم مع أخوته لفترة إلى أن تستقر أحوالنا ونستطيع أن نحصل على شقة ملائمة بعد أن كنا نسكن بالإيجار منذ بداية الزواج ، ووافقته على ذلك ، فزادت إهاناته لى واستخفافه بى أمام إخوته وأصبحت أشعر بالمرارة

والحسرة والخجل كثيرا .. فهو يتذرع بأى شىء ليهيننى ودائما يقول لى إنه لا رجل لى ، لقد انتزعت الرحمة من قلبه فإذا مرضت فهو لا يهتم بى ، وإذا بكيت لا يبالى ، وإذا عاتبته لم يتأثر ، وقد فكرت فى الانفصال عنه ، لكنه جبار ويهددنى بحرمانى من الطفلين إذا انفصلنا .. فعدلت عن التفكير فى الانفصال لأنه ليس لى مكان أذهب إليه بعد أن تزوج كل إخوتى وانصرفوا إلى حياتهم الخاصة ، ولقد استعطفته كثيرا أن يرحم ضعفى وقلة حيلتى، ويكف عن إهانتى ، خاصة أمام إخوته ، ولكن بلا جدوى ، مع أننى أتفانى فى إسعاده وتلبية مطالبه لكى أنال منه ولو نظرة رضا واحدة .. ودائما ما أتهم نفسى وأحدثه فى هدوء ولكن بلا فائدة .. لأنه قاس وجارح دائما .. فلماذا يفعل بى ذلك يا سيدى ؟ هل لأننى يتيمة الأبوين ولا رجل لى كما يقول ، إننى وحيدة فعلا ولكن لى الله سبحانه وتعالى وحسبى به وهو نعم الوكيل .

إننى أخاطبه بلا انفعال فيكون أقرب الردود إلى لسانه هو أن الباب يفوت الجمل ، ولأننى أعرف الرد مقدما ، فإنى أسكت وأبتلع حزنى وغمى ، فماذا أفعل يا سيدى ؟

إننى أدعو له الله بالهداية ، لأننى تحملت منه الكثير من الإهانات «وغلاظة» القول وأرجو أن تنصحه بكلماتك الطيبة بأن يرحمنى ويكف عن إهانته لى ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا أحب لك أن تصادمى زوجك أو تتخذى منه موقفا عدائيا ما دمت تحرصين على حياتك العائلية معه ، وترغبين فى

مواصلتها رحمة بطفليك وبنفسك .. لكنى على الناحية الأخرى لا أرضى لك بهـذا الضـعف المـهـين الذى يغـرى بك زوجك ويدفعه إلى عـدم التحسب لأى رد فعل احتـجاجي من جانبك على إهاناته لـك . فكل إنسـان أيا كـان وضـعـه يسـتطيع أن يرفض قبول الإهانة وألا يسمح لأحد بامتهـان كرامته وآدميته بغير صدام أو اشتباك مـع الغـير .. وذلك بالاحتجاج حتى لو كان صامتا على الإهانة .. وبرفض التعامل مع من أهانه ما لم يعـتذر له عـن خطئه في حـقـه ويكف عن تكراره . ومـشكلة بعض البشـر هى أنهم قد لا يتحفظون فى بعض الاحـيان فى الإساءة لـمَنْ يأمنون ردود أفعالهم عليها أو يعلمون عن يقين بعجـزهم عن رد أذاهم ودفعـه عنهم بأذى مماثل ، وليس ذلك من الخلق الكريم ولا من النبل فى شيء ، فعلامـة الشريف كما قال ذات يوم الخليـفة العـباسى المأمون هى أن يظـلمه مَنْ هم دونه وأن يظلم هو مَنْ هم فوقه !

بمعنى أن يكون رفيقا رحيـما مع الضعفاء الذين لا يملكون له أذى ، حتى ليـترفع عن الرد عن أساءتهم إليـه إذا أساءوا ، وأن يجابه مَنْ هم فوقه أو مثله فى القوة والجاه ، ويصادمهم بلا تحـفظ إن أسـاءوا إليه ، فـأين ذلك إذن من اسـتـضعـاف زوجك لك ، واعـتمـاده المخـجل على عجـزك عن رد الأذى عن نفسك أو هجره احتجاجـا على سوء معاملته لك ؟ إننا إذا كنا نطالب الجميع بالخلق الكريم فى التعامـل مع الجميع ضعافا كانـوا أم جبابرة ، فـإنما نفعـل ذلك استـهداء بهدى الـرسول الكريم صلوات الله وسـلامه عليـه الذى يقول لنا مـا معناه إن

الخلق الكريم هو علامة الإيمان الكامل ، لأنه التماس لإحسان الله بالإحسان فى معاملة خلقه ، فكأنما يرجو المرء إحسان ربه إليه كلما أحسن هو معاملة خلقه وخاصة الضعفاء منهم. والأزواج والزوجات والأهل وذوو القربى هم أحق الناس بهذا التعامل الكريم فيما بينهم وقد كان صلوات الله وسلامه عليه وهو القائل : « خيركم خيركم لأهله » ، أكرم الناس فى معاملة أهله وزوجاته ، وما رئى يوما غاضبا غضبا يخرجه عن رحمته كما لم يكن سبًابا ولا فاحشا فى القول .

غير أن أحد أسباب مشكلتك مع زوجك يا سيدتى هو أنك تغالين فى إحساسك بالضعف وقلة الحيلة وانعدام النصير .. وتظنين أنه يملك وحده كل عناصر القوة فى علاقته بك ، فيدفعك هذا الإحساس المؤلم إلى تجرع الإهانة .. والتوجع لها.. والاكتفاء بالرجاء واستجداء الرحمة والرفق ، مع أنك تملكين ودون أى خروج على تعاليم دينك ، وخلقك الوديع ، أن تضيفى إلى ذلك تحكيم الأهل بينكما إذا فشلت كل الجهود مع زوجك لإقناعه بأن يحسن معاملتك .. وإذا كان أبواك قد رحلا عن الحياة ، فإن من أهله هو بكل تأكيد مَنْ لا يرضى ضميره الدينى بامتهانك أو العدوان على كرامتك ، ومن إخوتك كذلك مَنْ يستطيعون التدخل بينكما بالحسنى ، ومن نفسك فى النهاية ما تستطعين به بقليل من الشجاعة النفسية أن تطالبيه بحزم باحترام آدميتك وتؤكدى له أنك لن تقبلى منه إهانته لك أمام الغير بعد ذلك اليوم أبدا .

فتماسكى قليلا يا سيدتى وأديرى معه حوارا متكافئا

هادئا.. وثقى من أنه يحتاج إليك كما تحتاجين إليه .. وأن انفصالك عنه إذا كان سوف يشقيك أو يسلمك للمجهول كما تحسبين لأنه لا مكان لك تلجئين إليه ، فإنه سوف يشقيه مثلك تماما وربما أكثر ، لأنه ليس هناك إنسان عاقل يسعد بفشل حياته الزوجية أو تمزق أطفاله بين أبويهم .. وهكذا ترين أنك لست عاطلة من كل « عناصر القوة » التى تتيح لك وضعا تفاوضيا ملائما فى حوارك مع زوجك للتوصل إلى صيغة كريمة للحياة بينكما ! .. وشكرا .





تصادقنا ثم تحاببنا فتزوجنا ، وأنضجت عشرة الأربعة عشر عاماً حبنا فصار عميقاً بليغاً .. لكنه منذ لحظة ميلاد ابننا الأول تفجرت خلافاتنا واستمرت ثم تعاظمت مع ميلاد صغيرتنا .

هى عجيبة الطباع ، فما طلبت منها شيئاً إلا ووافقتنى عليه ثم فعلت عكسه تماماً ، « تفطم » ابننا فجأة ودون أى مبرر فى شهره السادس ، فيصبح نزيلاً شبه دائم فى المستشفى للتغذى بالمحاليل وعلاجات سوء التغذية ، تتسبب له مرتين فى كسر بعظم الفخذ وهو بعد فى عامه الأول ، تنام ملء جفنيها وأحد أطفالنا يعانى الحمى ، لا تبالى بتصحيح أخطاء نطق أى من الطفلين فكبرا يعانيان عيوب النطق ، لازمت النزلة الشعبية أحدهما لمدة سبع سنوات بسبب إهمالها المستمر لتجفيف جسمه وتعريضه مباشرة لهواء أجهزة التكييف ، والغريب أنها لم تكن لديها أى اهتمامات أخرى، فهى لا تعمل وليس لها هوايات ولا تقرأ من الجريدة سوى

صـفحـة الوفـيات والحظ وعنـاوين الحوادث ، ولا تهـتم كـثيـراً بملبسها أو الموضة مثلاً ، تقول شـيئاً وتفعل غيره ، نتفق على أمر وتأتى بنقـيضـه .. وغيـر ذلك مما لا حصـر له من الأفعـال غيـر المعقـولة ، غيـر المفهومـة .. وفى كل مرة كنت أسـأل زوجتى عن شىء من تصـرفاتهـا كنت لا أحصل منهـا إلا على إجابـة واحدة تزيدنى حيرة فوق حيرة ـ وهى لا أعرف لماذا فعلت ذلك، مع وعد جديد بعدم التكرار .. ثم يكون التكرار والتكرار والتكرار ..

كنت فى بادىء الأمر أتحاور معـها فى هدوء ، ثم صرت أرفع صوتى ، ثم تماديت فكنت أخـاصمها ليوم أو يومـين ولا فائدة ثم تحرك لسانى بالـسباب ويدى بالضرب بعد أن بلغت قـمم الغليان والغـيظ ووصلت ـ أو كـدت أصل إلى الانهـيـار ، أصـبت بمرض السكر وارتفـاع ضغط الدم وأصـبحت شـديد العصـبية والـتوتر وسريع الانفـعال .. قاطعـتها مـقاطعة تـامة ، وانتهـيت إلى هجر الفـراش لمدد وصلت إلى سنة كاملـة وهى « كجلمـود صخـر » .. لا تتغير !

أنا مهندس مـعمارى أعـمل بالتصمـيم ، عملى يتطلب التركـيز الكامل ، فمـفتاح النجاح والاسـتمرار فيـه هو دوام الخلق وإفراز الابتكار الجـميل .. وكـما هو الحـال مع أى فنان ، تنعكس حالـته النفسـية ومناخه الأسرى على أعـماله ، فتدهور عـملى من سيىء لأسوأ حتى توقف تماماً .

لم يكن هناك حل إلا الانفـصال ، وتم ذلك مع قـدر لا بأس به من السلام والتـحضر والآن تأتى زوجتى لزيارتنا مـرة كل شهر ـ فتـثنى ـ لا تتعجب لذلك على حـال الأولاد بعد انفصـالها عنهم وتؤكد لى اسـتمرار حبها لى ، وأؤكـد أنا استمرار حبى لها وإنها

ـ ربما للمرة الوحيدة طوال حياتنا الـزوجية ـ قد أفلحت فى تنفيذ ما اتفقنا عليه ! .

أعيش الآن مع الطفلين ، أقوم بأعمـال ربة البيت بكفاءة بعد أن تعلمتها على مدى العام ونصف العـام الماضيين ، استنفدت معظم مدخراتى منذ تعثر عـملى قبل أربع سنوات وأحاول الآن البدء فى من جديد .

أختتم رسالتى برجائك ألا تسألنى لماذا أحبها .. فأنا لا أعرف !

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لن أســألك لماذا تحـبـــهـا لأن الحب لا منطق لـه فى أغلب الأحـيان .. لكنى ســوف أســألك ولماذا يستـمـر هذا الانفصــال بينكمـا وكل منكما يحب الآخـر .. وتقوم بينكـما هذه العـلاقة الودية الهادئة ؟

لقد عرفت عـيوبها ونقاط ضعـفها وصبرت علـيها السنين الطوال ، ثم ضـقت ذات مرة بما تنكره عليـها ، فاتفـقتـما على الانفصال فى هدوء ، وها قد مـضى عام ونصف العام على هذا الانفصال الهـادئ وما زالت زوجتك السابقة تحبك وتفـتقدك وما زلت أنت كذلك تحـبها وتفتقدها ، فلمـاذا لا تستـأنفان إذن حيــاتكما الـزوجية مـرة أخرى على أن تـتعامـل مع عيوبـها وهناتها بتـسامح أكبر وتحاول أنت درء أخطـار هذه العيوب على الأطفال بقدر الطاقة ؟! إن وجودها بين طفليها أفضل لهما تربوياً ونفسـياً وإنسانياً بالرغم من كل أوجـه قصورها ، من بعدها عنهمــا وأنت تستطيع كما تعلمت خلال فـترة الانفصال القيام بأعـمال البيت ورعاية الطفين ، أن تكون صـمام الأمان الذى يحول دون أى مضاعفات تنتج عن اضطراب شخصيتها

وسوء تـدبيرها وضـعف التزامـها بما تعـد به أو تتفق علـيه مـعك.. فأعـدها إلى عـصمـتك وأعف نفـسك من عناء الوحـدة ورعاية الطفلين ، لكى تتـفرغ لعملك من جـديد ، فأما عيـوبها فـإنك تسـتطـيع السـيطرة عليـهـا .. أو علـى الأقل تحـملهـا والتجـاوز عنها .. لكى تـظل السفيـنة طافية فـوق السطح .. بغير أن يحرم الطفلان من أمهـما التى تمثل بالنسبة لهما نبع الحب والحنان مهما يكن سوء تدبيرها .

يا صديقى إنها قدرك الذى لا نجـاة لك منه ، فتحمل أقدارك بشجاعة وأعد زوجتك إلى عـصمتك عسى أن تكون قد تعلمت من تجربة الانفصال بعض ما لم تكن تعلم .



أنا شاب فى السـادسة والعشـرين من عمرى ، أنهـيت تعليمى فوق المتوسط منذ خمسة أعوام . وفى هذه المرحلة كنت كأى شاب يتمنى أن يجـد فتاة أحـلامه التى أكـون أول إنسان فى حيـاتها ، وتكون هى فى مستواى التعليمى نفسه لكى ارتبط بها ونبنى عش الزوجية معاً . ولكن بعد انتهائى من فترة تأدية الخدمة العسكرية وكان وقـتها عـمرى ٢٤ عامـاً ، تعرفت على أرملة فى السـادسة والثلاثين من عمرها . كنت أعرف زوجهـا من قبل معرفة سطحية حيث كان يسكن بالحى الذى أقيم بـه لكنى لم أتعرف على زوجته إلا بعد وفاته بعـام عندما فتحت هى المحل التجارى الصـغير الذى تركـه لها زوجـها لتـربى منه ولديهـا الصـغيـرين ، فكانت بداية معرفتى بها عندما طلبت منى مراجـعة الحساب لها لأنها لا تعرف القراءة والكتابة وكانت تحكى لى عن مـشكلاتها والمواقف الصعبة التى تمر بهـا وأيضـاً المضـايـقات الـتى تتـعـرض لهـا من بعض

الأشخـاص وكانت تأخـذ برأيي في حل أزماتهـا لأننى متـعاطف معها هي وطفـلاها الصغيران ومع كثرة كلامى مـعها بدأت تبدى إعجـابها بى وبشخصـيتى وتشكو لى من وحدتهـا وبدأت أبادلها الإعجاب .. ثم بدأت بعد ذلك أخرج معها هى وطفلاها لكى أنسيها وحدتها وأملأ عليها فراغها ، وفى أثناء خروجى معها صرحت لى بحبهـا الكبير لى وبحب الأولاد أيضاً لى، فبـدأت أنا الآخر أبادلها الحب نفسه . ولكن عندما كنت أخـرج معها إلى أى مكان عام كنت أشعـر بأن الناس من حولى ينظرون إلينا ولا أعـرف السبب لكنى رجحت أن يكون فارق السن بينى وبينها هو السبب ، ومرت سنة كـامـلة على هذا الحب الطـاهر وذات يوم طلبت منـى الذهاب إلى شقتـها لكى أصلح لها الشراعـة الزجاجية المكسورة لبـاب الشقة وبالفعل ذهـبت وأصلحت الشراعة الزجـاجيـة . وكاد جو الشـقة الهادىء يجذبهـا إلىّ ويجذبنى إليها لكنى أفـقت فى آخر لحظة ثم خرجت وحـمدت الله على أنى أفقت قـبل الوقوع فى الخطأ . ولكن بعد مرور عدة أسابيع طلبت منى إصـلاح عطل كهربى فى الشقة وقـالت لى إنها تخـاف أن تدخل أى شـخص غريب لإصـلاح هذا العطل ، وذهبت لإصلاح العطل الكهربى البسـيط وكان جو الشقة مظلماً ولم أسـتطع هذه المرة مقاومة جاذبيـتها فهى امـرأة جميلة وأنا أحبهـا ، وبدأت تتوالى لقاءات الغرام والعـشق على مدى سنة كاملة ، زاد خلالها حبها لى كثيراً .

وخلال هذه الفتـرة تقدم لها عدة رجـال منهم الأعزب والأرمل والمتزوج والمطلق وكلهم يطلبون الزواج منهـا لكنها ترفض بسبب حبها لى ، فهى تقول لى دائماً إنها لا تستطيع الزواج من أى رجل غيرى لكنى عندما واجهتـها بأننا لابد أن ننهى هذه العلاقة الآثمة

طرحت عليَّ فكرة أن أتزوجها في السر وأن أتزوج بعد ذلك بعام أو عامين الفتاة التي يقبل لها أهلي لعلمها أن أهلي سوف يرفضون رفضاً قاطعاً زواجي منها لأنها أرملة ولديها ابنان وتكبرني بـ ١٢ عاماً . والمشكلة هي أنني أشعر بالإثم لاستمرار هذه العلاقة غير الشريفة وأريد التوقف عنها بأي حال من الأحوال خوفاً من عقاب الله سبحانه وتعالى ، ولكي أستريح من معاناتي النفسية وشعوري بالإثم والخطيئة والخوف من المستقبل. فهل أتزوجها وأقاطع أهلي الذين لن يقبلوا بزواجي منها نهائياً ، وفي هذه الحالة سوف أعطي ظهري للجميع ولا أحفل بأحد أم هل ابتعد عنها وأتركها لحالها وأكسب أهلي وأسرتي وأنظر إلى مستقبلي وأتزوج فتاة من سني وملائمة لي .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أنت تطرح سؤالا تعلم جيداً جوابه مقدماً لكنك تريد فقط مَنْ يقوي إرادتك الضعيفة على اتخاذ القرار الذي لا مفر لك من اتخاذه ، وهو قطع هذه العلاقة الآثمة مع هذه السيدة .. وبدء صفحة جديدة من حياتك خالية من الشعور بالإثم وتأنيب الضمير .. والمشكلة التي قد لا يتنبه لها البعض هي أن الضمير الأخلاقي قد لا يمنعنا في بعض الأحيان من ارتكاب الخطيئة لكن المؤكد هو أنه يحرمنا من الاستمتاع بها في كل الأحوال .. ويكدر علينا أوقاتنا بمجرد انتهائنا من ارتكابها وحالك خير دليل على ذلك .. فالضمير الذي حماك في المرة الأولى من الوقوع في الخطيئة حين تعللت هذه المرأة بذريعة إصلاح الشراعة الزجاجية ودعتك إلى بيتها ، لم ينجح في المرة الثانية في حمايتك من السقوط في بئرها حين استدعتك

بذريعة أخرى .. ولو كنت قد صمدت فى تلك المرة لتوالت الذرائع والأشياء التى تحتاج إلى جهدك لإصلاحها فى مسكنها إلى أن يتحقق الهدف الحقيقى .

والآن ، فلقد صحا الضمير من غفوته وبدأ يؤرقك .. ولا عجب فى ذلك .. فأنت لم تستمتع بالخطيئة استمتاعاً خالصاً مبرأ أبداً من وخز الضمير مرة واحدة طوال ذلك العام.. وكل ما تغير هو أنك قد بدأت تستشعر عواقب استمرار مثل هذه العلاقة على حياتك المستقبلية ووضعك العائلى وترغب فى إنهائها لكى تحقق الحلم المشروع لكل إنسان وهو أن يرتبط بمَنْ لا يخجل من مواجهة أسرته والآخرين بها .

ولا غرابة فى ذلك فالعشق يجرى دائماً فى الظلام ويتخفى به صاحبه .. أما الزواج المشروع فيتم فى العلن ويواجه به صاحبه العالمين بلا أى أسباب تدعوه للتخفى والإنكار .

وأنت لا ترغب فى الزواج من هذه المرأة .. ولا تقدر على مواجهة أهلك وأسرتك ومجتمعك بارتباطك بها .

فماذا يجديك إذن استمرار هذه العلاقة سوى مكابدة الشعور بالإثم وضياع سنوات أخرى من العمر قبل أن تستجمع إرادتك وتضع حداً لها وتبدأ صفحة أخرى نظيفة من حياتك .



أنا سيدة فى الخامسة والعشرين من عمرى ، نشأت فى أسرة ميسورة الحال بين أبى وأمى وأخى الذى يكبرنى ، وأمى سيدة ناجحة تشغل منصباً مرموقاً ، وتعتبر « قائد » الأسرة وليس أبى، فقد اعتادت أن تتخذ كل القرارات الأساسية فى حياتنا العائلية ، ويطيعها أبى فى كل شىء ، ولم يكن انفراد أمى بالقيادة والسيطرة فى البيت هو الذى يضايقنى ، وإنما كان ما يمزقنى حقاً هو تفضيلها لأخى علىَّ فى كل شىء ، وبسبب هذه التفرقة بينى وبينه شعرت بالكراهية لأسرتى ونشأت مفتقدة الحب والحنان والاهتمام ، وحين ألتحق أخى بالثانوية العامة ونجح فيها متفوقاً والتحق بكلية عملية مرموقة زاد حب أمى له وافتخارها به ، وكأنه قد صعد إلى القمر ورجع بقطعة منه ! وأصبح لا شاغل لها إلا الحديث عنه وعن تفوقه وأخلاقه ، ثم جاء دورى مع الثانوية العامة واختارت لى أمى الالتحاق بنفس الشعبة التى درس بها

شقيقـى ، واختارت لى كذلك نفس المدرسين الخصـوصيين الذين تلقى الدروس على أيديهم ، وهنا بدأت حياتى تتغير تغيراً كبيراً .. فلقـد التقيت بأحـد هؤلاء المدرسين ، وهو إنـسان يكبرنى بـنحو ثلاثين عاماً ويتمتع بالوسامة والأناقة وخفة الدم والثقة بالنفس ، فضلاً عن أن له علاقات متعددة مع تلميذاته .. فكان من حظى أن وقع اختيـاره علىَّ وأحببته بالرغم مـن أنه متزوج وله أبناء ، لأنه قد أعطانى الاهتمام الذى كنت افتـقده فى أسرتى ، ومضت محنة الثانوية العامة والتحقت بكلية نظرية ولم يفت أمى أن تلومنى على مجموعى الذى لم يطاول مجموع أخى .

واستـمرت عـلاقتى بفـارس أحلامى فى شـد وجذب ، فـتارة يكون مـقبـلاً علىَّ وتارة أخـرى ينصحنـى بالابتعـاد عنه ، وبأن أبحث عن مـستقـبلى مع شاب مـثلى لأنه رجل متزوج ويـكبرنى بثـلاثين عامـاً ولا مسـتقـبل لى معـه ، وخلال سنوات دراسـتى الجامـعية رفضت كـل مَنْ تقدموا لى إلى أن تخـرجت فى كليتى ، وقـررت لى أمى أن التـحق بدراسـة أخـرى ، لكى تـعـيننى على الالتحاق بمجال عملها المرموق . واستمرت حياتى هكذا موزعة بين حلمى بالارتبـاط بهذا المدرس المتـزوج ، وبين سـخطى على أهلى وعلى طريقـة تعـاملهم مـعى ، إلى أن اتصل بى ذات يوم فـارس أحلامى ، بعد فترة انقطع خـلالها عنى ودعانى لمقابلته .. وهرعت إليه فصارحنى بأنه كان منصرفاً عنى فى الفترة السابقة لارتباطه بفتاة أخـرى كان يظن أنه يحبها لكنه اكتـشف حقيقتهـا واكتشف أننى الحب الحقيقى فى حياته ، وطلب منى أن أقف إلى جواره فى محنته الشخـصية هذه الأيام لأنه يمر بظروف عصيبـة ، فزوجته مريضة للغاية وكذلك أحد أبنائه .. وسـعدت باحتياجه إلىَّ ، وبأن

يكون هناك مَنْ هو فى حاجة لى وإلى حبى ، وعوضنى هذا الإحساس عما أشعر به من إهمال من جانب أهلى .

وتعددت لقاءاتنا وامتلأت حياتى بمشكلاته وشجونه وهمومه ، وخلال أسابيع كان ابنه قد شفى من مرضه .. أما زوجته فلم تبرأ من مرضها ، وإنما اشتد عليها لفترة أخرى ثم اختارها الله إلى جواره ، وبعد رحيلها عن الحياة أصررت على أن أتزوج من فارس أحلامى هذا وطالبته بالتقدم لأسرتى .. فحثنى على أن أمهد له الطريق تحسباً للرفض المتوقع بسبب فارق السن بيننا .. وبالفعل فاتحت أهلى فى رغبتى فى الزواج من هذا الإنسان وقوبلت منهم بعاصفة من الرفض الشديد .. ونهرونى على مجرد التفكير فى هذا الأمر ، لكنى تمسكت برغبتى ، ووجدت نفسى أشعر بلذة غريبة فى تمسكى بهذا الرجل فى مواجهة رفض أمى واستنكارها .. كما شعرت بإحساس غريب من النشوة لرؤيتها عاجزة عن فرض إرادتها علىَّ ، ومنع إقدامى على هذا الزواج !

وبعد خلافات ومشاجرات لا نهاية لها تزوجنا على الرغم من رفض أهلى وأهله لهذا الزواج .. وأقمت فى شقته التى كان يخصصها لإعطاء الدروس بعيداً عن مسكن أسرته وأولاده ، وسعدت بزواجى منه فهآنذا لأول مرة أفعل شيئاً يتعارض مع « قرارات » أمى بشأنى ، وتعجز هى عن منعى عنه .. بالإضافة إلى شعورى بالاستقلال فى بيت أديره بنفسى .. ووجدت زوجى كريماً معى ولا يرفض لى طلباً وتكررت زيارات عائلتى لى فى بيتى الجديد .. وفى كل زيارة تلومنى أمى على زواجى برجل يكبرنى بثلاثين عاماً وله أبناء فى سن الشباب وتوجه لى الإهانة.. فأرد عليها وأدافع عن اختيارى وأؤكد لها سعادتى ، وحين يرجع

زوجي أروى له مـا قـالته أمي وأزيد عـليه بما لم تـقله فى الطعن عليه ، وكيف رددت عليها وفندت كل كلمة واتهام ، فيشعر زوجى بالرضا والسعادة لدفاعى عنه وعن اختيارى .

ورداً على توسـلات أمي لى بإنهـاء هذا الزواج غيـر المتكافىء قبل أن أحمل وأنجب أطفالا يزيدون من تعقيد حياتى ، سعيت بكل الطرق لإنجاب طفل من زوجي بالرغم من كل الظروف والمشكلات التى تواجـهـنا ، وذلك لكى أزيد من ارتبـاطـه بى ومن شـعـوره بالمسئـولية عنى .. ولم يهـدأ لى خاطر إلا بعد أن حـملت وأنجبت طفلتى الجميلة .

وبالفعل ازداد كـرم زوجي معى بعد إنجابى وازدادت الفـترات التى يقـضيـها مـعى حتى أصـبح يقـضى معظم وقـته فى بيـتى ويكتـفى بالسؤال عن أبنائـه بالتليفـون مع استـمراره فى تحـمل مسئولياته عنهم دون تقصير .

وبعد حملى وإنجابى وانقطاع أهلى عن زيارتى احـتجاجاً على ذلك ، ومع طول الفـترات التى أصـبح زوجي يقضـيها مـعى فى البيت حـتى بات مقيمـاً معى طوال أيام الأسبوع ، ومع شـعورى بأننى قد نجحت فى الاستحـواذ الكامل عليه .. بدأت أشعر ببعض التغيير فى داخلى لكنى لا أجرؤ على البوح به .

وبعد فترات طويلة من التردد والتفكير وجدتنى أعترف لنفسى بما كنت أرفض الاعـتـراف به من قـبل ، وهو أنـنى لم أحب هذا الرجل حباً حقـيقياً ، وإنما كان باختـصـار الرجل الأول فى حياتى الذى علمـنى مـا لم أكن أعلمــه من عـلاقـة الـرجل بالمرأة .. وأن كبريائى قد أبى علىَّ أن يهجرنى بعد انتهاء مرحلة الثانوية العامة، فرحت أطارده لأسـتعيده ولكى أشـعر بأننى مرغوبة ولست كـما

نشأت بين أسرتى إنســانة لا يحبها أحد ، واعتــرفت أيضاً لنفسى بأن هذا الرجل كـان بمثـابة تحـد لى وإثـبـات لذاتى أن هناك مَنْ يريدنى ، كـما كـان أيضـاً تحدياً لأهلى الذيـن طالما أهملونى لكى يعرفوا أننى موجودة وأستطيع أن أستقل عنهم .

وهكذا بدأت أضيق بحياتى مع زوجى واكتشف أنه لم يكن أبداً فارس أحلامى ، فهو فى كل يوم له شكوى ودواء ومرض ، وعلىّ أن أتعامل مع مشاكله وأمراضه .. كما بدأت أشعر بأننى قد دفنت نفـسى وجـمالى مـع هذا الرجل ، وكـثيـراً مـا تأملتـه وهو نائم وتساءلت صامتة : ماذا فـعلت بنفسى ؟ .. ولماذا هدمت المعبد فوق رأسى وأنا أتصـور أننى أهدمه على رؤوس أهلى ؟.. ومـاذا أفعل بحـــيـاتـى الآن ؟ هل أنفــصل عن هذا الرجل وأرجـع إلى أهلى وأتحمل شماتتهم فىَّ عسى أن أبدأ حـياة جديدة مختلفة ؟ أم ترى هل أظل سجـينة هذه الحياة لكى أنجو من شـماتة الأهل بى وهل إذا رجعت إلى أهلى ســوف يتقبلوننى بعد هذه الفـترة الطويلة من الانقطاع عنى وبعد ما تسببت لهم فيه من إيذاء نفسى ومعنوى ؟!

وماذا أفعل بابنتى الصغيرة .. وهل إذا تخلصت من حياتى هذه سينتقم منى زوجى خاصة أنه شديـد الطباع عند الغضب ويعتقد أننى مدلَّهه فى حبه ؟

إننى لا أدرى ماذا أفـعل بحياتى يا سيـدى لكنى لا أستطيع أن أظل أحـيـا أكبـر كـذبة فى حـيـاتــى .. ولا أن أظل أتظاهر بالحب لزوجى ولأبنائه وفى داخلى عكس ذلك من المشاعـر ، ولا أستطيع الاســتمـرار فى حـياة الكذب والـزيف ، لكننى من ناحـية أخـرى أخشى مواجـهة زوجى وهو الذى كان كريماً مـعى ولا يتأخر عن تلبية أى مطلب لى ، وأخشى كذلك مـواجهة أهلى وشماتتهم فىَّ ، فبماذا تنصحنى أن أفعل ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نشرت رسالتك هذه بالرغم من ضيقى بها وبكل ما تعكسه من خلل فى القيم الأخلاقية والدينية ، وجموح فى السلوك والتصرف ، ومشاعر سلبية كريهة تجاه الأهل ، ولقد نشرتها لكى أضعها تحت أنظار غيرك من الفتيات والآباء والأمهات ونتشارك جميعاً فى الاستفادة من دروسها وأخطائها ، فلقد ذكرتنى رسالتك بما روى عن عبد الله بن المقفع وقد كان من المشهود لهم بالتهذيب وحسن السمعة ، من أنه قد سئل ذات يوم من أدبك ؟ فأجاب : نفسى . كنت إذا رأيت من أحد قبيحاً اجتنبته وإذا رأيت من أحد جميلاً اتبعته .

والحق أن رسالتك هذه تصلح لأن تكون نموذجاً لكثير من أشكال « القبيح » الذى إذا تجنبه المرء فى حياته وسلوكه سلم من الأذى وعاش حياته سعيداً راضياً ، فضلاً عن أنها حافلة بكثير من الأخطاء التربوية والإنسانية التى أثمرت معظم أشكال هذا « القبيح » .

فأما الخطأ الأساسى الذى نبعت منه بقية الأخطاء .. فهو تنازل والدك عن الموضع الذى كرمه به ربه كرب لأسرته وقائدها ، لزوجته لكى تصبح هى « قائدة » الأسرة والمسيطرة عليها ، وسواء حدث ذلك برغبة والدك أو رغما عنه، فلا شك أنه خطأ جسيم لا يحقق صالح الأسرة ويتعارض مع تعاليم السماء التى تقول لنا « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فى الإسلام ، وتقول لنا إن « الرجل رأى المرأة » فى

المسيحية . وانقلاب الأوضاع فى الأسـرة لا يثمر غالباً إلا مثل هذه التشوهات الأخلاقية والنفسية التى قادتك إلى الجحيم ، كـما كـان من ثمـاره أيضاً مـا شـعرت أنت بـه من تفرقـة فى المعاملة من جانب « قائد الأسرة » البديل بينك وبين شقيقك .. وبالرغم من عدم اقـتناعى بالمبررات التى حاولت إيهـام نفسك بها لتبـرير انزلاقك إلى علاقة آثمة وأنت فتـاة فى السابعة أو الثـامنة عشـرة من عـمرها مع مـدرسك المتـزوج الذى تخطى الخمسين ، فإنى أعتـرف من ناحية أخرى بأنه من أكبر أخطاء التربية التفـرقة فى المعاملة بين الأبناء .. وأن من ثمارها المرة انطواء مَنْ يشعر بتـمييز الأهل لأحد إخوته عليـه على مشاعر الغيرة وربما الحقد تجاه الأخ المميز ومشاعر السخط على مَنْ يميـزه .. وربما على الأسرة كلهـا التى تسكت عن هذا الوضع الخاطىء أو تعجز عن تغييره .

فإذا كانت هذه التفرقـة بينك وبين أخيك قد أوغرت صدرك على أمك وأسرتك ، وبذرت فى نفسك بذور التـمرد والإحساس بالإهمال والرغبة فى إثبات الذات والشعور بالجدارة .. فلماذا لم تتخذ هـذه الرغبة طريقاً إيجـابياً قويماً كالتـفوق الدراسى والالتزام الخلقى الذى يفـرض على الجميع احتـرامك والإقرار بجدارتك بالحب والاهتمام .. ولماذا اخترت الطريق السهل وهو الانزلاق إلى علاقـة شائنة مع مدرس يكبرك بأكـثر من ثلاثين عاماً ومتزوج وله أبناء فى مـثل عمرك ؟ وهبك قد أخطأت فى فترة المراهقـة وتورطت فى هذه العلاقة ، فلماذا تماديت فـيها إلى حد مطاردة الرجل واسـتجداء اسـتمرار علاقـته بك وأنت طالبة فى الجـامعة ؟.. ثم لماذا أصـررت على الزواج منه ضد

رغبة الأهل ونداء العقل والمنطق الذى يرفض مثل هذا الزواج غير المتكافىء .

إن من قوانين الكون التى تحفظ عليه وجوده أن يتبع الصغير الكبير لا أن يتحداه ويشق عليه عصا الطاعة ، فالأرض تتبع الشمس وتدور حولها ، والقمر يدور حول الأرض ، والمجموعة الشمسية كلها تدور حول المجرة ، والاليكترون المتناهى فى الصغر يدور حول نواة الذرة الأكبر منه .. فإذا خالف أحد هذه الأشياء قوانين الكون وتحدى مَنْ هو أكبر منه ورفض الدوران فى فلكه اختل الكون واضطربت أحواله ، ولا يعنى ذلك أبداً أن يتعسف الكبير بالصغير أو يتحكم فى مجريات حياته ، وإنما يعنى فقط أن يستهدى الصغير بحكمة الكبير وخبرته بالحياة وألا يباعده أو يسقطه من اعتباره لأن كل خروج صارخ على قوانين الحياة لا يثمر غالباً إلا الدمار لصاحبه .

وقصتك خير مثال على ذلك .. فلقد تماديت فى مطاردة كهل متزوج وله أبناء ومتعدد العلاقات تحت تأثير وهم التحدى بهذا السلوك المعيب لأمك التى تفضل شقيقك عليك وتشيد بالتزامه الأخلاقى وتفوقه الدراسى ، ولقد قلت مراراً أن مشاعر الشباب تحت العشرين تتسم غالباً بعدم النضج وعدم الثبات وأن ما يبدو لهم من وهم الحب فى هذه المرحلة المبكرة من العمر لا يمضى وقت طويل حتى يتبينوا هم أنفسهم سطحيته وسذاجته وعدم تعبيره عن مشاعرهم الأصلية واختياراتهم الحقيقية حين يبلغون مرحلة النضج ويخوضون اختبارات الأيام ، فهل اختلف الحال معك .. وأنت

تقولين الآن إنك قد اعترفت لنفسك بأن الرجل الذى تصورت قبل عدة سنوات أنه فارس أحلامك وتحديت الأهل جميعاً للارتباط به .. لم يعد حبك الحقيقى .. ولا هو الرجل الذى ترغبين فى أن تمضى ما بقى لك من عمر إلى جواره ؟ وأنه قد تكشف لك بعد استحواذك عليه أنه مجرد كهل له أمراضه وهمومه وأدويته ، وأنك تدفنين جمالك وشبابك معه . إن للأديب الجزائرى مالك حداد عبارة جميلة يقول فيها : إن المرء يفتح شباكه لكى ينظر إلى الخارج ويفتح عينيه لكى ينظر إلى الداخل - أى إلى داخل نفسه - لكى يستجلى أعماقها.

وأنت قد فتحت عينيك بعد فوات الأوان لتنظرى إلى الداخل.. فلم ترى حباً ولا غراماً مشبوباً ، وإنما رأيت زيفاً وكذباً وتظاهراً بالتدله فى حب مَنْ لا تحبينه فى أعماقك .

وكعادة الجامحين فى سلوكهم ومشاعرهم .. فلقد حدث ذلك متأخراً وبعد أن تعقدت حياتك أكثر وأصبح لسوء اختيارك واندفاعك ضحايا أبرياء كطفلتك الوليدة ، لقد توسلت إليك أمك طويلاً ألا تحملى من هذا الرجل وتنجبى منه، لكيلا تندمى فيما بعد حين ينكشف وهم التحدى ووهم الحب عن خواء ، وترغبين فى فصم علاقتك به ، فإذا بك ترفضين كل توسلاتها وتحتالين بكل الحيل لكى تحملى وتنجبى من زوجك ثم تتساءلين الآن عما تفعلين بحياتك بعد سقوط وهم الحب ، فأى خبال هذا ؟

إننى أكاد أشعر فى بعض الأحيان أن من البشر مَنْ لا يصح أن يؤتمنوا على إدارة حياتهم وفقاً لإرادتهم الذاتية وعقولهم المضطربة وحدها .. بل وإنه من صالح هؤلاء

الأشـخاص أن تشل إرادتهـم لمنعهم من إيـذاء أنفسـهم وإيذاء الغير، قبل أن يتخبطوا في كل الاتجاهات الخاطئة ثم يولولوا صارخين : كيف ننقذ أنفسنا من هذا الجحيم ؟

فأما إيذاؤك لنفسك فلا يحتاج إلى بيان ، وأما إيذاؤك للغير فلقد شـمل أبويك وشقـيـقك وأبناء هذا الرجل المتـزوج الذى استحـوذت عليه دونهم ، وامـتد لـلأسف الشديد لكى يشـمل أيضاً طفلتك الوليـدة التى جئت بها من عالم الغـيب إلى حياة لم تستقر قوائمها وترغبين الآن فى هدمها من أساسها ، فكأنما قد جـئت بها ضـد توسلات أمك لكى ترشـحيـها للتـمزق بين أبويها فضلاً عن ترشيحك لها من الأصل لليتم المبكر !

والآن تتـسـاءلين مـاذا تفـعلين وكـيف تواجـهـين زوجك برغبتك فى الانفصال ، وكيف تواجهين أهلك الذين تنكرت لهم وباعدت بينك وبينهم ؟

وجـوابى عن هذه التـسـاؤلات هو أن مـثلك لا تـعـجـز عن تحقيق رغائبها فى الحياة .. ولهذا ، فلن تعجزى إذا رغبت فى الانفـصـال عـن زوجك الذى لهـثت وراءه بضـع سنوات لكى يتزوجك ، أما أهلك فلا خوف عليك من شماتتهم بك أو رفضهم لك ولو فـعلوا لما حق لأحـد أن يلومـهم عليه ، غـيـر أنهم لن يفعلوا ذلك ولن يوصدوا أبواب رحمتهم فى وجهك ، بشرط أن تتـعلمى دروس التجـربة وتتخلصى من مـشاعـرك السلبـية تجاههم .. وأوهام التحدى المريضة لهم .

أما أنت فلا نصيحة لك عندى .. فافعلى بحياتك ما تشاءين وتحملى عواقبه .

صدر للمؤلف

١	أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٦ (نفد)
٢	يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفد)
٣	هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٨ (نفد)
٤	صديقى لا تأكل نفسك	مقالات وصور أدبية	ط.أولى١٩٩٠ط. الخامسة٢٠٠١ (نفد)
٥	نهر الحياة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٠ط. الثالثة١٩٩٦
٦	العصافير الخرساء	قصص إنسانية	ط. أولى٩٩١ط. الرابعة١٩٩٨
٧	صديقى ما أعظمك	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩١ط.الرابعة١٩٩٨
٨	العيون الحمراء	قصص إنسانية	ط.أولى١٩٩٢ط.الخامسة١٩٩٨
٩	افتح قلبك	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٢ط. الثالثة١٩٩٨
١٠	اندهش يا صديقى	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٢ط. الخامسة١٩٩٩
١١	أزواج وزوجات	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. الرابعة١٩٩٩
١٢	أرجوك لا تفهمنى	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. الثالثة١٩٩٨
١٣	رسائل محترقة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. الثالثة١٩٩٨
١٤	وقت للسعادة .. ووقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	ط. أولى٩٩٣ط. الرابعة٢٠٠٠
١٥	شركاء فى الحياة	قصص إنسانية	ط.أولى١٩٩٢ط. الرابعة١٩٩٩
١٦	أماكن فى القلب	قصص إنسانية رومانسية	ط.الأولى١٩٩٤ط. الثانية٢٠٠٠
١٧	لا تنسنى	قصص رومانسية	ط. أولى١٩٩٥ط. الثالثة٢٠٠١
١٨	نهر الدموع	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٥ط. الثالثة٢٠٠١
١٩	أقنعة الحب السبعة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٧ط. الرابعة ١٩٩٩
٢٠	خاتم فى اصبع القلب	صور أدبية	ط. أولى١٩٩٦ط. الثالثة١٩٩٩
٢١	وحدى مع الآخرين	مقالات	ط. أولى١٩٩٦ط. الثالثة٢٠٠٠
٢٢	سلامتك من الآه	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٧ط. الثانية١٩٩٨
٢٣	هو وهى والآخرين	قصص إنسانية	ط.الأولى١٩٩٧ط. الثانية٢٠٠٠
٢٤	مكتوب على الجبين	قصص إنسانية	ط.الأولى١٩٩٧ط. الثانية٢٠٠٠

٢٥	أوراق الليل	قصص إنسانية	ط.الأولى١٩٩٧ط. الثانية٢٠٠٠
٢٦	طائر الأحزان	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٦ط. الثالثة٢٠٠١
٢٧	اعط الصباح فرصة	مقالات وصور أدبية	ط. الأولى١٩٩٦ط. الثانية٢٠٠١
٢٨	الحب فوق البلاط	قصص قصيرة	ط. الأولى١٩٩٧ط. الثانية٢٠٠٠
٢٩	سائح فى دنيا الله	أدب رحلات	ط. أولى١٩٩٧ط. الثانية١٩٩٨
٣٠	قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٧
٣١	صور من حياتهم	قصص قصيرة	ط. أولى١٩٩٨ط. الثانية١٩٩٨
٣٢	ساعات من العمر	مقالات وصور أدبية	ط. الأولى ١٩٩٨ط . الثانية٢٠٠٠
٣٣	أهلا مع السلامة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى١٩٩٨
٣٤	عاشوا فى خيالى	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٨ط. الثالثة٢٠٠٠
٣٥	قدمت أعذارى	خواطر وتأملات	ط. الأولى١٩٩٩ط. الثانية٢٠٠١
٣٦	ترانيم الحب والعذاب	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٣
٣٧	الثمرة المرة	قصص إنسانية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٣
٣٨	دموع القلب	قصص إنسانية	الطبعة لثالثة ٢٠٠٣
٣٩	أيام السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٩
٤٠	أرجوك أعطنى عمرك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٢
٤١	من المفكرة الزرقاء	صور ومقالات أدبية	الطبعة الأولى٢٠٠٠
٤٢	حصاد الصبر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى٢٠٠٠
٤٣	صوت من السماء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى٢٠٠١
٤٤	حكايات شارعنا	سـيرة ذاتيـة	الطبعة الثالثة ٢٠٠٢
٤٥	الرسم فوق النجوم	صور ومقالات أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٢
٤٦	تحية المساء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٢

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٧٤٢٩

الترقيم الدولى
977 - 08 - 1131 - 9

طبع بمطابع دار أخبار اليوم